

# المنتقى

نشرة شهرية يصدرها منتدى الفكر العربي

٢٠١

العدد ٢٠١ حزيران/يونيو ٢٠٠٢ المجلد السابع عشر (٦)

## من مواد هذا العدد ■

### ■ افتتاحية

- تحديات القانون الدولي الإنساني في القرن  
الحادي والعشرين

الحسن بن طلال

### ملف خاص: حوار الثقافات

■ حوار الثقافات: الحوار بدل الصراع؛ لكن بأي معنى؟  
د. محمد عابد الجابري

■ أي دروس لعرب التجزئة؟  
أوروبا الموحدة: فعل العقل في التاريخ  
د. محمد جابر الأنصاري

+

تقرير مستفيض عن ملتقى المنتدى في مدينة  
البتراء الأثرية بعنوان:  
«الخطاب العربي: المضمون والأسلوب»

الرئيس والراعي

سمو الأمير الحسن بن طلال

President & Patron  
HRH Prince  
El Hassan bin Talal

الأمين العام

علي أحمد عتيقة

Secretary-General  
Ali A. Attiga



الإتقاء والإيمان

الأستاذة ليلى شرف  
رئيسة اللجنة  
د. رجائي المشر  
د. مهدي الحافظ  
د. منى مكرم عبيد  
د. هشام الخطيب  
د. علي أحمد عتيقة الأمين العام

الهيئة الاستشارية  
للمنتدى والمندوبات

د. علي أحمد عتيقة  
د. هشام الخطيب  
أ. عزام الجاسر  
أ. توفيق أبو بكر  
د. هالة مسرة  
أ. أحمد الحجاب

التصميم

د. هشام الخطيب  
أ. هادي عزام منسق

التصميم والإخراج  
السيدة أماني السوقي

مطابع الفئار التجارية

رئيس المنتدى وراعيه: سمو الأمير الحسن بن طلال

نواب الرئيس

الدكتور حسن الابراهيم  
الدكتور عبد العزيز حجازي  
الأستاذ محسن العيني  
الأستاذ الهادي البكوش  
الكويت  
مصر  
اليمن  
تونس

الأعضاء

الدكتور أحمد صدقي الدجاني  
الدكتور أحمد طائب الإبراهيمي  
الأستاذ إلياس سابا  
الدكتور حازم الببلاوي  
الدكتور حمد بن عبد الله الريامي  
الدكتور رجائي المشر  
الدكتورة سعاد الصباح  
الدكتور شفيق الأخرس  
الدكتور عبد العزيز عبد الله التركي  
الأستاذ عبد الملك الحمير  
الدكتور علي أحمد عتيقة  
الدكتور علي أومليل  
المهندس عمر هاشم خليفتي  
الأستاذة ليلى شرف  
الدكتور محمد الفقيش  
الأستاذ محمد بن عيسى  
الأستاذ منصور خالد  
الدكتورة منى مكرم عبيد  
الدكتور مهدي الحافظ  
الدكتور هشام الخطيب  
الأستاذ يوسف الشيراوي  
فلسطين  
الجزائر  
لبنان  
مصر  
عُمان  
الأردن  
الكويت  
سورية  
قطر  
الإمارات  
الأمين العام  
المغرب  
السعودية  
الأردن  
ليبيا  
المغرب  
السودان  
مصر  
العراق  
الأردن  
البحرين

إهداءات ٢٠٠٣

تُعبر بالضرورة عن رأي منتدى الفكر العربي.  
إجراء التعديلات المناسبة على الموضوع المقدم إن رأت ذلك ضرورياً.

منتدى الفكر العربي

المملكة الأردنية الهاشمية



# منتدى الفكر العربي

منظمة عربية فكرية غير حكومية تأسست عام ١٩٨١ في أعقاب مؤتمر القمة العربي الحادي عشر بمبادرة من المفكرين وصانعي القرار العرب، وفي مقدمتهم سمو الأمير الحسن بن طلال، رئيس المنتدى؛ تسعى إلى بحث الحالة الراهنة في الوطن العربي وتشخيصها، وإلى استشراف مستقبله، وصياغة الحلول العملية والخيارات الممكنة، عن طريق توفير منبر حرّ للحوار المفضي إلى بلورة فكر عربي مُعاصر نحو قضايا الوحدة، والتنمية، والأمن القومي، والتحرر، والتقدم. وقد اتخذ المنتدى عمّان مقراً لأمانته العامة.

## يهدف منتدى الفكر العربي إلى:

- ١- الإسهام في تكوين الفكر العربي المعاصر، وتطويره، ونشره، وترسيخ الوعي والاهتمام به، لا سيما ما يتصل منه بقضايا الوطن العربي الأساسية، والمهام القومية المشتركة، في إطار ربط وثيق بين الأصالة والمعاصرة.
- ٢- دراسة العلاقات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية في الوطن العربي، وتدارسها مع مجموعات الدول الأخرى، لا سيما الدول الإسلامية والدول النامية، بهدف تعزيز الحوار وتشطيط التعاون، بما يخدم المصالح المتبادلة.
- ٣- الإسهام في تكوين نظرة عربية علمية نحو مشكلات التنمية التي تعالجها المنتديات والمؤسسات الدولية، بما يحقق إسهاماً فعالاً في صياغة النظام العالمي، ويضع العلاقات الدولية على أسس عادلة ومتكافئة، ويخدم التكامل الاقتصادي.
- ٤- بناء الجسور بين قادة الفكر وصانعي القرار في الوطن العربي، بما يخدم التعاون بينهم في رسم السياسات العامة، وتأمين المشاركة الشعبية في تنفيذها.

## ويعمل المنتدى على تحقيق أهدافه عن طريق:

- ١- عقد الحوارات العربية العربية، وتتناول هذه الحوارات مناقشة أهم الموضوعات التي تهم العالم العربي. ويشارك فيها أعضاء المنتدى؛ إضافة إلى نخبة من الخبراء والأكاديميين.
  - ٢- عقد الحوارات العربية الدولية؛ ويتكون فيها الطرف العربي من أعضاء المنتدى وخبراء وأكاديميين عرب؛ ويمثل الطرف المقابل إحدى الهيئات أو المعاهد أو المراكز من مختلف الدول والتجتمعات العالمية.
  - ٣- القيام بالبحوث والدراسات الإستراتيجية؛ وتشمل الدراسات العلمية لفرق بحثية متخصصة حول القضايا الكبرى التي تواجه العرب حاضراً ومستقبلاً.
  - ٤- المطبوعات؛ إضافة إلى سلسلة المطبوعات الخاصة التي توثق كل نشاط من الأنشطة المذكورة أعلاه (الحوارات العربية، والحوارات العالمية، والبحوث الاستراتيجية)، يقوم المنتدى بإصدار نشرة شهرية بعنوان «المنتدى» باللغة العربية، ونشرة فصلية باللغة الإنجليزية تصدر كل ثلاثة أشهر، بهدف تعريف الأفراد والمؤسسات بخلاصة الحوارات والندوات والمؤتمرات التي يعقدها المنتدى؛ إضافة إلى نشر مقالات وترجمات عدّة، تُهمّ الثقافة والمواطن العربي.
- ويعتمد المنتدى في تمويله على رسوم الأعضاء العاملين والمؤازرين (مؤسسات)، وتبرعات الأعضاء والأصدقاء ومساهماتهم؛ إضافة إلى ريع وقفه المتواضعة جداً، حتى الآن.

## عضوية المنتدى:

- ١- عضوية عاملة: تضم نخبة من الشخصيات العربية المتميزة، التي تؤمن بالمنتدى وبالأهداف التي أنشء من أجلها.
- ٢- عضوية مؤازرة: تضم مجموعة من أبرز المؤسسات والمجالس العربية المتفتحة التي تؤمن إداراتها بالعمل وبالفكر العربي المشترك.
- ٣- عضوية الشرف: يمنحها مجلس الأمناء للأفراد والمفكرين من غير الأعضاء العاملين، الذين قدّموا مآثر ومساهمات جلّى، في مختلف الميادين، على المستويين العربي والدولي.

## ■ افتتاحية

تحدّيات القانون الدولي الإنساني  
في القرن الحادي والعشرين

٢ الحسن بن طلال

## ■ ملف خاص: حوار الثقافات

\* تقرير: ملتقى «الخطاب العربي: المضمون والأسلوب»

البتراء، الأردن؛ ٢-٤ أيار/مايو ٢٠٠٢

٦

١٢

١٥

- البيان الختامي

- المشاركون

\* كتبوا في الملتقى

- مراجعة الذات والحاجة إلى خطاب عربي رصين

١٧

د. مهدي الحافظ

- في الأردن... ملتقى فكري لحوار عربي عربي

١٩

أ. أحمد حمروش

\* مقالات

- حوار الثقافات، الحوار بدل الصراع؛ لكن بأي معنى؟

٢١

د. محمد عابد الجابري

- أي دروس لعرب التجزئة؟

٣٢

د. محمد جابر الأنصاري

أوروبا الموحدة، فعل العقل في التاريخ

٣٥

■ من مكتبة المنتدى

## تحديات القانون الدولي الإنساني في القرن الحادي والعشرين \*

الحسن بن طلال

كرامتهم، وتقديم العون للسكان المحرومين من ضرورات الحياة الأساسية - سيقلل من الكلفة البشرية للنزاعات، وفكرة «الإنسانية» ليست جديدة، فثمة شواهد على احترام الإنسان في الحضارات القديمة، وقوانين الحرب قديمة قدم الحروب ذاتها، فما كانت الحرب لتتدخل عند السامريين إلا بعد أن يعلن عنها، وكان القوم قد اهتموا إلى توفير الحصانة للمفاوضين؛ كما عرفوا معاهدات الصلح. وفي الصين دعا كونفوشيوس إلى الغيرة والتضامن، ونصت التوراة على عدم قتل العدو المستسلم، كما استعاض شيشرون بالحكمة المأثورة «الإنسان للإنسان شيء مقدس» عن المقولة: «الإنسان للإنسان» ذئب<sup>(١)</sup>، وفي مرحلة تالية تأثر القانون الإنساني

بمعرف القانون الإنساني بأنه «مجموعة قواعد [مستقلة] من القانون الدولي العام التي تستهدف في حالات النزاع المسلح حماية الأشخاص الذين يعانون ويلازم هذا النزاع، وهو قانون يحترم الشعور الإنساني ويركز على حماية شخص الإنسان في حالة النزاع»<sup>(٢)</sup>. إن هذا القانون يسعى إلى ضمان احترام قواعد إنسانية أساسية في أثناء النزاعات، وهو أمر يتطلب أن يفي كل طرف من الأطراف المتنازعة بالالتزامات المتعلقة به، لأن التخلي عن مثل هذه الالتزامات إنما يعني العودة إلى البربرية، والالتزام بالمبادئ الأولية للقانون الإنساني - كالتمييز بين المقاتلين والمدنيين، وأسلوب معاملة الجرحى، وتأمين السلامة البدنية للمعتقلين وضمان

\* سيماد نشر هذه المقالة في العدد القادم (٢١) من مجلة الإنساني، التي تصدرها اللجنة الدولية للصليب الأحمر.  
(١) ستانيسلاف أ. نهليك، عرض موجز للقانون الدولي الإنساني؛ الترجمة العربية لنقل نشر في المجلة الدولية للصليب الأحمر، تموز - آب، ١٩٨٤.

(٢) جان بكتيه، القانون الدولي الإنساني، تطوره ومبادئه: معهد هنري دونان، جنيف، ١٩٨٤.

بالمسيحية والإسلام؛ فأعلنت المسيحية أن الإنسان كُليق على صورة الله ومثاله؛ كما عدَّ الإسلام «الوقار الإنساني» مبدأً أساسياً في تعاليمه.

دعوني أعود إلى العام ١٩٨١، حين تحدّثت - في كلمة لي وجهتها إلى لجنة الشمال والجنوب، لجنة براندت الاقتصادية - عن ضرورة التفكير ليس فقط في القانون الإنساني الدولي بل كذلك في النظام الإنساني الدولي. وكانت ثمرة الجهود التي بذلناها في هذا المضمار تبتي الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٨٧ للنظام الإنساني العالمي الجديد. أشير هنا إلى تقرير الهيئة المستقلة الخاصة بالقضايا الإنسانية في العالم التي تشرفّت برئاستها بالاشتراك مع الأمير صدر الدين آغا خان<sup>(٢)</sup>. وكان هدف هذا التقرير تعميق الوعي العام بالقضايا الإنسانية، والدعوة إلى استحداث ميثاق دولي يُشجّع على جعل العالم مكاناً أكثر إنسانية، وعلى صوغ منظور إنساني قادر على مجابهة ما يواجهه المجتمع العلمي من زيادة في التعقيدات. فقد أصبح العنف بالنسبة للملايين الناس حقيقة واقعة. وزادت ضحاياها في صفوف المدنيين. من هنا أتت وتأتي أهمية ما تقوم به جمعية الهلال الأحمر وجمعية الصليب الأحمر الدوليتان من أعمال الإغاثة.

لقد أكّدت - وما زلت أؤكد - المحور الإنساني في خطابي السياسي على مدى العقود الثلاثة الماضية. وكانت دعوتنا في الأردن على الدوام أن الإنسان هو محور السياسة، وأن الإطار الإنساني هو الإطار الأمثل والأشمل لمعرفة المشكلات ووضع الحلول لها. وحتى تصبح القضايا الإنسانية ذات أولوية، أرى أنه لا بد من تفعيل البعد الاتصالي، ومن الإسهام في نشر ثقافة تستند إلى احترام الإنسان وصور كرامته. كما أمل أن نتكّن من التوصل إلى ميثاق إنساني عربي يدعو إلى احترام مبادئ القانون الدولي الإنساني؛ إذ إن هذه الدعوة يُليها الإسلام الذي أكّد حرمة الإنسان ونهى عن الإضرار به، خاصة في

أوقات الحرب. ويؤمل أن يتبش هذا المنبر عالمية المبادئ الإنسانية، على أساس أن هذا مفهوم غير أممي.

ولعلّ اتفاقات جنيف الأربع لعام ١٩٤٩ والبروتوكولين الإضافيين إليها عام ١٩٧٧ شكّل، مع اتفاقية لاهاي، تراثاً إنسانياً وعماداً للقانون الدولي الإنساني. وتعدّ هذه بمجملها هيئة إلى المجتمع الدولي في إطار الجهود المبذولة لنشر مبادئ القانون الإنساني. وفي الوقت نفسه نلاحظ مؤشرات مقلقة هنا وهناك تدلّ على عدم احترام الإنسان. فالتحديات الإنسانية الكبرى تضاعفت فجّر القرن الجديد بتنامي عدد الضحايا على نحو مأساوي. ألم يحن الأوان لحكومات الدول الأطراف في اتفاقات جنيف أن تتحمّل مسؤولياتها بجدية؟ وأن تساند المنظمات الإنسانية غير الحكومية من أجل تعزيز قدراتها على الرعاية الإنسانية لبني البشر وحفظ كرامتهم؟ إن العمل الإنساني المستقل عن أية اعتبارات سياسية يظلّ الأكثر فاعليّة. فعلى الحكومات أو الأطراف المتنازعة أن لا تعدّ المساعدة الإنسانية ضرباً من التدخل في شؤونها الداخلية، أو تنظر إليها على أنها إملاء لشروط سياسية. فعمل المنظمات الإنسانية يتوقّف على مدى القبول بقيامها بأنشطتها، ولا يمكن أن تفرض هذه المنظمات خدماتها الإنسانية فرضاً. وعلى الدول وعلى موافق القانون الدولي الإنساني الحفاظ على حيّز العمل الإنساني لضمان حياده وعدم انحياز واستقلاليتّه. فالموضوع بجملة أخلاقي في المقام الأول.

إن معرفة القانون الدولي الإنساني أمر بالغ الأهمية. فتطبيق القواعد الإنسانية إنما يقتضي معرفتها ونشرها وتجسيدها في برامج معروفة لأطراف النزاع ومجموع السكان. والتغيير في أشكال النزاعات لا بد أن يؤدّي بالمقابل إلى تطوير مواثيق القانون الدولي الإنساني. وهو ما حدث بصور البروتوكول الثاني لعام ١٩٧٧، نتيجة للرغبة في توفيق القانون الدولي الإنساني مع أشكال الصراع الجديدة، والحيلولة دون تعرض عالمية المبادئ

(٢) كُيّر هذا التقرير بعنوان:

Winning the Human Race? (Zed Books, London and New Jersey, 1998)

[الترجمة العربية: هل تكسب الإنسانية معركة؟ مطبعة بنك البترا؛ عمان؛ د.ت.].

الزمن؛ أعني: احترام الحياة؛ المسؤولية تجاه الأجيال القادمة؛ حماية البيئة الطبيعية للإنسان، التفكير في مصلحة الآخرين وخيرهم الذي يُعزِّزُ الشعور بالمصلحة المشتركة والإقرار بقيمة الإنسان وكرامته.

كذلك، يُفترض أن لا يقتصر مفهوم «التضامن الإنساني» على فكرة «الإنسانية المشتركة»، أو على الإثارة والغيرة وعمل الخير. فمن المفروض أن يكون مفهوماً واقعياً قائماً على «المصلحة الذاتية المستتيرة»، وأن تُشكِّل هذه المصلحة قوَّة دافعة لعمليات صُنع السياسات المستوحاة من رؤيا عميقة نافذة، والمستندة إلى استراتيجيات واضحة وسيناريوهات مستقبلية. فهذا مفهوم وثيق الصلة بعلم السياسة البشرية؛ أي السياسة من أجل الإنسانية.

فهل لنا أن ننطلق من ثقافة إنسانية تستند إلى روح المنابع الموضوعية لقواعد القانون الدولي الإنساني، ألا وهي الثقافة والأخلاق والدين؟ ■

الإنسانية للخطر. ويجدر أن أشير هنا إلى مساهمات اللجنة التوليفية للصليب الأحمر في تطوير ممارساتها وتطوير القانون الدولي في مختلف مراحل. فعمل اللجنة لا يقتصر على أعمال الحماية والنفوذ في المنازعات المسلحة وحسب؛ إذ إنها تحرص أيضاً على الارتقاء بالقانون الإنساني وتطويره لواقع الزمن.

إنني أدمو - كما دعوتُ دوماً - إلى ميثاق إنساني يرتكز على أخلاقيات التضامن الإنساني التي تعمق الإيمان بالقيم الإنسانية المشتركة. وإنني أؤمن أنه في الحالات الطارئة - أكانت من فعل الإنسان أم من فعل الطبيعة - يجب أن تسود سلطة الإنسانية فوق كل الاعتبارات السياسية.

وكما أقول وأكتب دائماً، فإن مصطلح «أخلاقيات» هنا أوسع من أن يقتصر على الجانب الأخلاقي الضرف. فهو يتعدى هذا الجانب ليشمل القيم الاجتماعية الثقافية المشتركة التي تتسم بسمة العالمية، والتي صمدت على مرّ



ملتقى

## «الخطاب العربي: المضمون والأسلوب»

البتراء/الأردن  
٢-٤ أيار/ مايو ٢٠٠٢

عقد منتدى الفكر العربي، بدعوة من رئيسه وراعيه، سمو الأمير الحسن بن طلال، في مدينة البتراء الأثرية، خلوة فكرية بمشاركة أكثر من خمسين من رجال الفكر والسياسة الأعضاء في المنتدى، خلال يومي ٣ و٤ أيار/ مايو ٢٠٠٢، بهدف التوصل إلى تطوير مضمون الخطاب العربي وأسلوبه مع الغرب أو مع الآخر بصورة عامة، وتحديد النقاط والقضايا التي يوجد حولها اتفاق عام في المضمون والأسلوب، وتلك التي لا تحظى بمثل هذا الاتفاق مع تحديد وجهات النظر المتباينة حولها.

### الجلسة الأولى

لكم يُسعِدُنِي أَنْ نلتقي سوياً هنا في رحاب البتراء، المدينة العربية الأثرية الخالدة التي عاصرت الازدهار العربي قبل حوالي ألفي عام، وكانت حلقة الوصل بين الجزيرة العربية وبلاد الشام، ولا تزال قبلة للزائرين والسياح من جميع بلاد العالم، آملاً أن لا تحول أنشطة لقائنا المكثفة دون استطلاع مراققتها الأثرية النادرة.

ترأس سمو الأمير الحسن جلسة العمل العامة الأولى التي عقدت بعنوان «إشكالية الخطاب العربي وأسلوبه». وفيما يلي النص الكامل لكلمته:

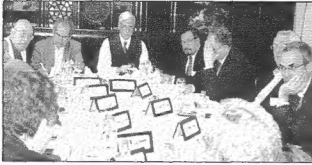
إن لقاءنا هذا يخيم عليه شعور عام بالسوداوية؛ فالأحداث المأساوية في فلسطين المحتلة تتوالى، وهوافل الشهداء تكبر وتتزايد، وابتدال الإنسان العربي غربي نهر الأردن جاوز مداه.

بسم الله الرحمن الرحيم  
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين  
وعلى آله وصحبه أجمعين

كل ذلك يتم في ظل غياب شبه كامل للشرعية الدولية، وأصوات احتجاج محدودة في الغرب الأوروبي، وتأخير

أيها الأخوة الكرام، أعضاء منتدى الفكر العربي؛ المفكرون العرب الذين يحضرون لقاءنا اليوم:





مبطن أحياناً أخرى للإجراءات التستقيّة الإسرائيليّة في الأوساط الرسميّة والشعبيّة الأمريكيّة. إن هذا ينقلنا بعجلة الزمن إلى عقدين سابقين: إلى الاجتياح الإسرائيلي للبنان الشقيق عام ١٩٨٢ في ظل الخطرسة العسكريّة الإسرائيليّة والتشردم العربيّ.

عقدان مرّاً على اجتياح لبنان، وبدلاً من أنّ ننقل من موقف الضعف ذاك إلى موقع أفضل، فإننا لا نزال نراوح مكاننا، ونشاهد الاجتياح - الاجتياح نفسه - للمناطق الفلسطينية وبالمظاهر نفسها: خطرسة عسكريّة إسرائيليّة، وشرذمة وضعف عربيّين، وشبه غياب للشريعة الدوليّة في ظل الصمت الأمريكيّ تارة، والتأييد تارة أخرى لما يجري.

والصورة العربيّة مشوّعة في الغرب بل سلبية في حالات كثيرة. فمن الواضح أنّنا لم نتمكن من نقل وجهة نظرنا إلى القوى العالميّة الفاعلة: الرسميّة والشعبيّة. ولقد أدت أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر الماضي إلى خلط الأوراق بين الإرهاب وحركات النضال والتحرير المشروعة. وفي ظل ضئف خطابنا، وبراعة الخطاب الآخر، فإن الحقّ الفلسطيني المشروع للتحرّر من الاحتلال صوّّر مراراً وكأنه أحد حلقات الإرهاب العالميّ.

لقد استدعى كلّ ذلك عقد لقاءنا هذا الذي يستهدف مراجعة الجهود القائمة والمطلوبة لتطوير الخطاب العربي مع الآخر وتقويمها؛ إذ إن ما نحن فيه يستدعي كثيراً من المراجعة والتقويم، ثم الإجراء والأداء الأفضل.

إنني حريص على ألا استيق أحداث هذا اللقاء؛ ولكّني أرى أن مراجعة وتقويم كهذين يستدعيان شمل ثلاثة محاور:

- \* تطوير الخطاب العربي مع الآخر لإبراز الصّورة الفُضلى للحق العربي.
- \* تعزيز الخطاب العربي / العربيّ كي يكون هدفنا وجهدنا منسّقاً وموحّداً تجاه الآخر.
- \* تطوير العمل المؤسسي الذي ينقل الخطاب العربي المنسّق إلى الطرف الآخر.

لقد قامت الأمانة العامة - مشكورة - بطلب وجهات نظر الأخوة المشاركين كتابةً للاستعانة بها كخلفيّة لهذا اللقاء، ووُزعت عليهم بعض الأوراق والدراسات المناسبة؛ كما أجرت لقاءً تمهيدياً في مقر المنتدى في عمان. وحين اطلعت على المساهمات الأولية للأخوة أعضاء المنتدى ووجهات نظرهم، وجدتها غنية في محتواها، ومتناسقة في مضمونها، وتنصب بصفة خاصة على الآتي:

- إن فهمنا للآخر لا يزال محدوداً. فعلى أن نبدأ بفهم الآخر: مؤسساته؛ مشاعره التاريخيّة تجاه العرب والمسلمين؛ أسلوب الخطاب والتعامل الذي يؤثر فيه.

- أهمية العمل للتغلب على ما يجري من ترويج فكرة حتميّة الصراع بين الحضارة الغربيّة وحضارة الإسلام، بمخاطبة المفكرين الغربيين ولقائهم ومحاورتهم.

- عدم التمييز بين العرب والمسلمين من وجهة النظر الغربيّة، والنظر إلى العرب والمسلمين باعتبارهم يمثلون فكراً آخر وحضارة أخرى يتسمان غالباً بالسلبية. وهذه النظرة السلبية ناتجة عن تراث تاريخي يعود إلى أيام الحروب الصليبية.

إلى جانب ذلك، هنالك توجه آخر ملموس داخل الرأي العام الأمريكي ينظر إلى الإسلام، ديناً وثقافة وتراثاً وطريقة حياة، باعتباره يمثل حقيقة كبرى من حقائق



- إعادة النظر في أسلوب محتوى الخطاب الموجه إلى الخارج، ومعالجة فشل وسائل الإعلام العربية في إسماع صوت الوطن العربي وشرح قضاياها في المحافل الخارجية.

- الاتصال بالجانبيات العربية والإسلامية في الخارج، والتعاون معها بصورة مؤسسية منظمة.

### الآن، ما العمل، خاصة مؤسسياً؟

لقد كان اللقاء الذي نظمتها جامعة الدول العربية في القاهرة في رمضان الماضي بداية جهد عربي مؤسسي للحوار مع الآخر. وقد عالجت بعض ملاحظات الأعضاء ذلك، وطالبت بعرض موجز لما تم من لقاءات والاتصالات عربية، والوقوف أمامها لبلورة الرأي في شأن ما ترتب على زلزال أيلول من آثار على الصعيد العربي؛ وسوف يتم ذلك.

إلا أنه من الواضح أن العمل المؤسسي بحاجة إلى تحليل ودراسة ثم تركيز من حيث: أولاً: الجهات التي تقوم بتوجيه الخطاب. ثانياً: تحديد كيفية توجيه الخطاب ومحتواه. ثالثاً: تحديد الجهة التي يوجه إليها الخطاب. رابعاً، وليس آخراً: تمويل الخطاب العربي.

أمل أن أكون قد وفقت إلى حد ما في تلخيص بعض الأفكار التي وردت إلى المنتدى من أعضائه، والتي قد تشكل خلفية لمجموعات عمل. بناء على ذلك، فاني أقترح، إشارة إلى المحاور الثلاثة التي ذكرتها آنفاً، أن تكون مجموعات عمل ثلاث، تجتمع بعد الاستراحة مع مقرر لكل مجموعة، تستعرض وتناقش وتوصي بشأن الخطاب العربي مع الآخر، والخطاب العربي/العربي، والعمل المؤسسي: على أن تلتقي غداً إن شاء الله لاستعراض أعمال هذه المجموعات الثلاث، وتقرير مقررهما؛ حتى تنتقل بعدها إلى خطة عمل ممكنة نخرج بها من هذا اللقاء بالغاية المرجوة.

أحييكم؛ وأسلم عليكم.



العالم، فعلى الخطاب العربي تعظيم هذا التوجه.

- أهمية تقديم صورة الإسلام من خلال المنهج الوسطي، بوصفه متبراً للتلاقي مع القيم والمعايير العالمية التي أنتجتها الحضارة الإنسانية الشاملة.

- الخصائص السلبية التي لا بد أن نعترف بوجودها في مجتمعاتنا: غياب الحريات، سلطوية النظم الحاكمة، المهارات الإعلامية، عدم احترام سيادة البلدان لبعضها الآخر: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»

[سورة الرعد (١٣): الآية ١١] (صدق الله العظيم).

فلا يمكن أن تتغير الصورة من الخارج بمعزل عن تغير جذري من الداخل؛ إذ لا يمكن لأمة أن تتغير الآخر وهي تعاني في الحين ذاته من انقسام وتخلف، وتفتقر إلى التلاقي والاجتماع حول الكثير من القضايا الأساسية.

- تأثيرنا ووزننا الاقتصادي وتأثيره على الآخر: هل هو حقيقة؟ وما مقداره وقيمه؟

- الخطر أو التحريف النابع من داخل الدائرة العربية الإسلامية، متمثلين في ظاهرة التطرف بألوانها المختلفة، سواء أكان ذلك من حيث الرؤية والمفاهيم، أم من حيث أساليب العمل والكفاح: إلى جانب ظاهرة الإرهاب، والتلاعب في تعريفها، والالتباس الذي يحيط بها والنابع من صراع المصالح.

- الحاجة إلى تدارك موقع الأحداث المروعة في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ في التطور العالمي: مخاطر المبالغة وتحميلها صفة «الفردة» المطلقة في سلم الماسي والأهوال التي تعيشها شعوب العالم، والانطلاق من ذلك لصوغ استنتاجات خاطئة ومدمرة.

## جلسة العمل الرئيسية



تحدث في هذه الجلسة أربعة محاضرين تناولوا الخطاب العربي ومضمونه بالنسبة للغرب والعرب؛ كما قدموا اقتراحات عملية من أجل التقارب مع الغرب، ومن أجل موضوعية الخطاب.

**د. عبد اللطيف الحمد** تحدث قائلاً: «حين أردت أن أفكر كمربي، وجدت نفسي أفكر قومياً. لكن - للأسف - حين أنصرف أجد أنني أنصرف قطرياً. وهنا يأتي التناقض الذي وجدته ولستة دوماً في علاقاتي في غضون الأربعة العقود من عملية التنمية الاقتصادية. وأرى أن هذا التناقض أحد أسباب تخلفنا وعدم التقدم بما فيه الكفاية.»

وأضاف: «لكن حين ننظر إلى المؤسسات العربية، ليس بمعناها التقليدي، لكن من زاوية التحديات التي تواجهها الأمة، أتساءل عن ماهية هذه التحديات؛ هل تمت مواجهتها لها بواقعية، ولو كان ذلك على المستوى القطري لتعكس على المستوى الإقليمي؟»

وقدم الأستاذ الحمد أرقاماً وإحصائيات تعكس سلباً صورة الوضع العربي؛ متسائلاً: هل عالجنا مشكلة السكان والتركيبية السكانية؟ وهل نظرنا بجدية إلى مشكلتنا وتأثيرها على سوق العمالة في المستقبل؟

هل ندرك أن لدينا ١٥ مليون عامل عن العمل الآن؟ هذا يعني، مع التزايد السكاني، أننا بحاجة إلى استحداث ٢٥ مليون فرصة عمل إضافية خلال الـ ١٥ سنة المقبلة. أتساءل: هل نحن قادرين على ذلك؟ وماذا عملنا لمعالجة الأوضاع التي سوف تنجم في حال إخفاقنا في تحقيق ذلك؟

وقال: هناك أيضاً تحدٍّ آخر وهو الأمية. فما زال الوطن العربي يعاني أميةً تصل نسبتها إلى أكثر من ٤٠٪، خاصة بين النساء. كذلك هنالك مشكلة المياه العربية: هل يجوز أن نقبل أن دولاً لديها موارد مائية كافية لا تزال تعاني من نقص في المياه؟ والمقصود هنا المشكلة بجميع أبعادها، وأهمها إقبال المياه النظيفة الصالحة للشرب إلى البيوت.

وأشار الأستاذ الحمد إلى أن محاولات التنسيق لإيجاد مشروعات عربية إقليمية مشتركة - للأسف الشديد - باتت

معظمها بالفشل. وقال عندما حاولنا التنسيق، كانت هناك محيطات بالنسبة للنتائج. ومع الأسف، فقد أحيطت الكثير من المشروعات العربية وجُتدت باسم التنسيق، بدلاً من أن تُحفز وتدعم. كذلك هنالك جمود في القرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي في عدد من الدول العربية بسبب شيخوخة القيادات، وهنالك خوف شديد على ما الذي سيحصل في المستقبل. وأعتقد أن هذه إحدى المشكلات التي يجب أن ننظر إليها - نحن العرب - بجدية.

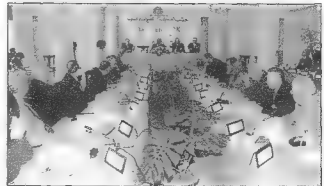
وأشار إلى أن الخروج من المأزق والمشكلات التي يعيشها العالم العربي لا يكون إلا إذا توافرت المصالحة، وليس تخدير العواطف والمشاعر، بالنسبة لشعوبنا. وللأسف الشديد، فإن القلة من القيادات العربية تقول الحقيقة لشعوبها؛ كما أن الفجوة الكبيرة في مستوى المعيشة بين قطاعات المجتمع في معظم الدول العربية أدّى إلى إغفاء الطبقة الوسطى التي هي أساسية في استقرار أيّ مجتمع.

ثم تحدث الدكتور **جورج قهرم** حول المعطيات الموضوعية لضيف الخطاب العربي مع الآخر وقدم توجيهات مستقبلية، مشيراً إلى أن هذا الخطاب يعكس نوعين من الدوافع: دوافع مرتبطة بتحسين الصورة السلبية للعرب، وأخرى مرتبطة بالدفع عن الحقوق الفلسطينية والرد على الاتهامات الصهيونية. والحق أنه يجب ألا نخلط بين هذين النوعين من الدوافع، وإن كانت هنالك صلة بينهما؛ ذلك أن استمرار الصورة السلبية من العوامل التي تُسهّل نجاح الإعلام الصهيوني.

وبين الدكتور قهرم أن الضيف الرئيسي في الخطاب العربي يتمثل في ضحايا هويّتنا الجماعية في النظام الدولي، وفي خلط نظام القيم عند العرب، والأخلاق الدينية جزء منها. وإن إعطاء صدارة للمحور الديني في تحديد القومية العربية الحديثة يُضيع الهوية تجاه أنفسنا وتجاه الغير.

وقال: لذلك نرى اليوم أن صورة العربي عند الآخر هي صورة مشوهة غير واضحة المعالم، تعكس ضياع الهوية العربية الجماعية في النظام الدولي. وهذا من شأنه أن يؤدي إلى حتمية صراع حضارات وأديان؛ أبطاله المسلمون من جهة، والمسيحيون واليهود من جهة أخرى.

وأشار إلى أن أيّ خطاب عربي جديد يتطلب إعادة ترتيب



يتم الارتكاز على المؤسسات الإعلامية باعتبارها الوسائل الأكثر تأثيراً.

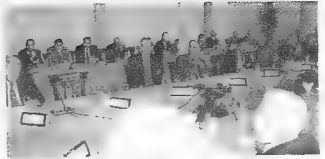
وأشار إلى أهمية اعتماد آلية تسويق في هذا الإطار، مثل التشبيك بين مراكز البحوث والجامعات ومؤسسات المجتمع الأهلي، ومن المفيد استحداث وحدة صغيرة عاملة تأخذ على عاتقها العمل على التنسيق بين الجهات المعنية داخل المجتمع العربي، والأساس أن تأتي الموارد والقدرات على شكل إسهامات طوعية غير مشروطة من الجامعات العربية ومن منديانتها الفكرية.

وقال الأستاذ هاشم : السؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف يمكن لنا أن نستقطب وتنمي الصلة مع أولئك النفر من أصحاب الفكر الأمريكيين الذين يتحدثون عن الأمور بموضوعية ونزاهة، رغم التشويش الهائل الذي يتعرضون له؟ وأخيراً تسأل: كيف يمكن أن نهتدي إلى إرشاحهم معنا في منديانتنا وجوارتنا وفكرنا ومقترحاتنا نحو تحسين العلاقات، ونحو الوصول باملنا إلى آفاق جديدة يعم فيها الوفاق والوثام والتعايش باحترام متبادل؟

وأخيراً، وليس آخراً، ضمن رؤيته للعربي والمسلم في الغرب، قال الدكتور عدنان السيد حسين: إن هناك خلطاً في الرؤية الغربية بين العربي والمسلم: إضافة إلى جهل الغرب بواقع الماين العربي والإسلامي بشكل تفصيلي، فالكتب المدرسية والمناهج تتحدث عن العرب وحضارتهم باختصار شديد، ولا يوجد اهتمام بالحضارة الإسلامية؛ إضافة إلى وجود دراسات مشوهة عنها أو قاصرة.

وبيّن أن الإعلام والفكر المعاديين الأمريكيين نجحوا في ربط الصورة الإرهابية بالعرب، مشيراً إلى أن صورة العربي في الغرب الأوروبي أفضل من تلك الموجودة في الغرب الأمريكي.

وقال: إن مجاهدة الديمقراطية وحقوق الإنسان في الكثير من الدول العربية، إضافة إلى أمراض الطائفية والعشائرية والإقليمية الجهوية ومحدودية فكرة المواطن وضعف مؤسسات الدولة إلى حد بعيد والاندفاع وراء المنافع الشخصية عند قطاع واسع، خاصة في صفوف المثقفين، أدت كلها إلى تثبيت هذه الصورة السلبية عن العرب والمسلمين.



البيت العربي لكي يكون له صدًى إيجابيّ، ولكي نتجّع في مخاطبة الغرب في هذه الموضوعات، علينا أن نعيد النظر في كثير من مواقفنا وانفعالاتنا، ويجب أن نوضح هويّتنا في النظام الدولي، ولأنّ نفعاً في مطلب تحديد هويّتنا انطلاقاً من انتمائنا إلى ديانة معينة، مما يسهل للدعاية الصهيونية تأكيد مزاعمها بأن انتفاضة الشعب الفلسطيني وأساليبها ليست مشروعة؛ لأن القضية، حسب هذه المزاعم، ليست قضية حق ومبادئ ديمقراطية حديثة، بل مصدرها رفض الديانة الإسلامية قبُول وجود اليهود في أرضهم، «أرض الميعاد».

أما البقاء في دائرة المواقف نفسها ودائرة الضبابية حول هويّتنا، ومصرعاتنا أنظمتنا، وعدم الوصول إلى اتخاذ مواقف جماعية متجانسة في النظام الدولي، فسيجعل من أية حجة منطقية في مخاطبة الآخر استمراراً لحوار الطرشان الذي أصبح يسود غلافنا مع الآخر منذ زمن، خاصة بعد أحداث ١١ أيلول.

ثم تحدث الأستاذ عثمان هاشم حول ما يواجهه العرب والمسلمون من ممارسات سبقت أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر، في إطار مجتمع الولايات المتحدة الأمريكية، فطرح عدداً من المسلمات، منها: أن المجتمع الأمريكي مجتمع مؤسسات؛ وعليه لا بد من تحديد المؤسسات الشرعية التي ينبغي مخاطبتها، وهي المؤسسات الدستورية بمختلف أشكالها؛ مؤسسات المجتمع المدني الإعلامي، والمؤسسات الدينية، ومؤسسات العمل الخيري، ومجموعات الضغط.

وأعاد الأستاذ هاشم النظرة السلبية لدى الغرب تجاه العرب والمسلمين، التي تصل أحياناً إلى درجة الاستعداد، إلى مرحلة الحروب الصليبية. وقد تعمقت جذور هذه النظرة من خلال فلسفة العمل الكنتسي، وازدادت حدة التوجهات المعادية للعرب في الولايات المتحدة بعد قيام دولة إسرائيل. وتمكّنت المؤسسات الصهيونية واليهودية من العمل على إدانة المشاعر السلبية ضد العرب عن طريق العمل المؤسسي.

ودعا الأستاذ هاشم إلى ضرورة تحديد من هو المخاطب الذي يجب التوجه إليه، وأن لا يقتصر الخطاب على مخاطبة الذين يخالفون الرأي، بل أن يشمل كل مستمع، مع أهمية أن





مجموعات لدراسة ثلاثة محاور:

**المجموعة الأولى:** «العرب والعرب»، برئاسة الدكتور أحمد صديقي الدجاني، ومقررها الدكتور مهدي الحافظ، وبحثت هذه تحديد الخصائص السلبية التي نعترف بوجودها، داخل الأقطار العربية، وضرورة معالجتها.

**المجموعة الثانية:** «العرب والعالم»، برئاسة الدكتور عبد العزيز حجازي، ومقررها الدكتور حسن حنفي. وعملت هذه المجموعة على تحديد المفاهيم والضمون للخطاب العربي، وأسلوب تطويره وتقديمه، وتحديد الوسائل والقنوات الملائمة للاتصال المؤسسي داخل لمجتمعات الغربية في أمريكا وأوروبا، أولاً، وغيرها من مناطق العالم، ثانياً.

**أما المجموعة الثالثة** فقد تناولت «إشكالية بناء الإطار المؤسسي وتنسيقها». وترأسها الأستاذ عبد اللطيف الحمد، وكان مقررها الدكتور طاهر كنعان.

وعقد المشاركون صباح اليوم التالي جلسة عمل عامة برئاسة سمو الأمير الحسن عرض خلالها رؤساء المجموعات ما تم التوصل إليه. وبناء على ذلك، صدر البيان الختامي الاتي للملتقى.

وحدد الدكتور عدنان نقاشاً عدة يجدر بالعرب - مفكرهم ومثقفهم ومؤسستهم - العمل من خلالها، ومنها أن الحوار الحضاري مع الغرب يكون من منطلق التعارف وليس من منطلق الإدانة، كما يكون الإيمان الإسلامي بالمسيحية من منطلق القرآن والسنة.

ودعا إلى مشاركة الغرب في همومه ومشكلاته الاقتصادية والاجتماعية على قاعدة التعاون الدولي، وإقامة علاقة مع المجتمع المدني من خلال الجمعيات والنقابات والأحزاب، والانخراط في المنظمات العالمية غير الحكومية، وتعزيز العلاقة مع لجان الدفاع عن حقوق الإنسان في الغرب، على قاعدة الإيمان والالتزام المشترك بحقوق الإنسان.

وحدث على المساهمة في حملة عالمية لمكافحة أسباب الإزهاق: الفقر، والجهل، والمرض، والتهميش السياسي والاقتصادي والثقافي، وفي تطوير التشريعات الداخلية العربية لمكافحة الإرهاب الداخلي وإظهار ذلك عالمياً؛ والمساهمة في الأنشطة الثقافية والسياسية والاقتصادية العربية، خاصة تلك المتعلقة بالشرق الأوسط.

وقال إن لتجنب إخراج أسدقائنا في الغرب، علينا مراعاة مصالحهم ومصالح بلادهم؛ إضافة إلى تجنب نقل النزاعات العربية العربية إلى داخل الغرب، وهذه مسألة مهمة ودقيقة، ورفض فكرة صدام الحضارات أو الصراعات الدينية والطائفية، والتركيز على الحوار الحضاري والتعامل الدولي والإنساني.

واقترح الدكتور عدنان إنشاء فضائية عربية من أجل مخاطبة الغرب باللغة الإنجليزية وإدارتها من إطار القطاع الخاص؛ على أن تقوم الجامعة العربية بتوجيهها سياسياً وثقافياً وحضارياً كي تتمكن من عرض القضايا العربية بموضوعية، خاصة قضية فلسطين؛ شرط ألا تنزلق إلى النزاعات العربية العربية.

بعد ذلك دار نقاش عام؛ ثم انقسم الحضور إلى ثلاث



## منتدى الفكر العربي

ملتقى

### «الخطاب العربي: المضمون والأسلوب»

البترام، ٢-٤ أيار/مايو ٢٠٠٢

### البيان الختامي

زعزعة الوحدة الوطنية وإضعاف النسيج الاجتماعي للدولة. ومن مظاهر ذلك: القصور في الاستجابة للحقوق الأساسية للأقوام والمثل الأخرى في بعض الأقطار العربية، وتفاقم المعز إزاء مواجهة التحديات الخارجية.

٢ بروز تباين في الفهم الصحيح للإسلام، سواء كان ذلك على صعيد المفاهيم والتطبيقات أو أساليب العمل والتطبيق، نتيجة لانبعثات حركات إسلامية ذات توجهات سياسية برزت في أوضاع تاريخية معقدة. وهنا أكدت أهمية المنهج الوسطي الإسلامي بوصفه منبراً للتلاقق مع القيم والمعايير العالمية التي أنتجت الحضارة الإنسانية الشاملة، ومنها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. إن من شأن هذا المنهج أن يصبون صورة الإسلام، ويدراً عن المسلمين موجات التشويه والاستعداد المقرضة التي تقذيها دوائر خارجية. كما أكدت أهمية توصيل الرسالة للملأ أن الحضارة العربية الإسلامية حضارة متعددة تتميز بغصب تنوعها، ويتسامحها ورفضها لكل صيغ التعصب.

٣ الحاجة إلى فهم صحيح لللاقة مع العالم الخارجي على أساس تفادي العزلة والانغلاق، والسعي إلى التفاعل الإيجابي مع المتغيرات العالمية، بهدف الإفادة من الفرص المتاحة، ومجابهة أي أخطار محدة. ولعل من مستلزمات ذلك بناء القدرة الذاتية العربية، وتعزيز الإمكانات التنافسية بامتلاك ناصية العلم والمعرفة ومقومات الثورة التكنولوجية، لا سيما في ميدان المعلومات والاتصال والتكنولوجيات المتقدمة.

٤ أهمية إجراء إصلاح حقيقي وجذري على أنظمة التربية والتعليم وبرامجها بهدف تلبية الحاجات الإنمائية للمجتمع، وتطوير الموارد البشرية، والقضاء على التخلف، والانطلاق في طريق الحداثة ومكافحة الأمية، وتعزيز التفكير العلمي، والالحاق بركب التقدم

بدعوة من صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال، رئيس منتدى الفكر العربي وراعيه، اجتمع ما يزيد على خمسين مفكراً عربياً في البترام، يومي ٢-٤ أيار/مايو ٢٠٠٢، في خلوة فكرية حول «الخطاب العربي: المضمون والأسلوب».

عقدت الجلسة الافتتاحية يوم الجمعة الموافق ٢٠٠٢/٥/٣ برئاسة سمو الأمير الحسن. وتم فيها عرض إشكالية الخطاب العربي وأسلوبه، ومراجعتها؛ إضافة إلى بعض المداخلات المبدئية لبعض المفكرين، تبها نقاش عام.

ثم انقسمت الندوة إلى ثلاث جلسات متزامنة، تصدت كل منها لمحور من ثلاثة محاور:

**الأول:** «العرب والعرب»، لتحديد الخصائص السلبية التي نتعرف جميعاً بوجودها داخل الأقطار العربية، تمهيداً لمحاولة معالجتها.

**الثاني:** «العرب والعالم»، لتحديد المفاهيم الخاصة بالخطاب العربي ومضمونه، وأسلوب تطويره وطرحه؛ إلى جانب تحديد الوسائل والقنوات الملائمة للاتصال المؤسسي بالمجتمعات القريبة في أمريكا وأوروبا خاصة، وبسائر المجتمعات في العالم.

**والثالث:** «إشكالية بناء الإطار المؤسسي وتنسيقه».

**كانت أهم النقاط التي توفقت في محور «العرب والعرب»:**

(١) إن الخلل الأساسي في المسيرة العربية خلال العقود الأخيرة يكمن في غياب البناء المؤسسي، أو ضعفه، على صعيد الدولة والمجتمع. ويعود ذلك إلى غياب الديمقراطية باعتبارها أسلوباً للحكم، ومجموعة قيم وممارسات، لا على صعيد العلاقة بين الدولة والمجتمع فحسب، بل بين المواطنين كذلك؛ الأمر الذي انعكس من خلال سيادة الرأي الواحد والفكر الشمولي، وأسهم في

في العالم.

٥) إن الفشل في قيام تضامن عربي جاد، ضمن إطار مؤسسي راسخ، إنما يكمن في غياب الإرادة السياسية للدول العربية؛ وهو جانب لا يمكن توقيفه بمزمل عن اعتماد الديمقراطية وحكم القانون والمشاركة الشعبية الجادة والفعالة. ومما له أهمية خاصة في هذا الصدد هو تحديد برامج عملية مدروسة للتكامل الاقتصادي العربي على أساس المصالح المادية والثقافية، وحاجات التنمية المشتركة، بوصفها طريقاً لبعث الحياة في النظام الرسمي العربي، وأداة لا غنى عنها لحماية الأمن القومي وخدمة المصالح العربية المشتركة.

٦) على الصعيد القومي، تبرز الحاجة إلى تعزيز الروابط بين منظمات المجتمع الأهلي، وإلى إيجاد إطار شعبي متنوع المراكز والاهتمامات، في ظل مناخ ديمقراطي يصون استقلالية هذه المنظمات ويطوّر مبادراتها الحرة البناءة .

### وكانت أهم النقاط التي نوقشت في محور العرب والعالم :

١) إن العالم ليس أوروبا وأمريكا فقط؛ بل يشمل أيضاً الشرق ممثلاً بالصين والهند وآسيا الوسطى وماليزيا وأندونيسيا، حيث موطن أكثر من أربعة أخماس سكان المعمورة؛ كما يضم أفريقيا وأمريكا اللاتينية ودول الجوار مثل إيران وتركيا.

٢) أصبحت صورة العرب والمسلمين في الغرب مرتبطة بالتمف والإرهاب والتخلف والتسلط والتنمية. كما ارتبطت صورة الغرب عند العرب بالاستعمار والعدوان والهيمنة المركزية والمادية. وهذان هما الخطaban الشائمان، مع بعض الاستثناءات.

٣) يمكن اقتراح مضمون الخطاب العربي على النحو الآتي:

- ١) مراجعة خطابنا السائد وتقده، ومعالجة ما فيه من خلل في التواصل مع الذات ( الوعي بالذات) والتواصل مع الآخر ( الوعي بالآخر)؛ إضافة إلى العناية ببنية الخطاب ومحتواه المعرفي.
- ٢) الوعي بعجم المتغيرات ونوعها، التي طرأت على الساحة الدولية، والتوجه نحو الجذور والقصب والمؤسسات الأهلية هناك.
- ٣) البناء النظري للخطاب العربي الجديد، بهدف الخروج بخطاب متماسك يفسر الواقع ويقدم الإمكانيات المادية الكثيلة بتغييره.
- ٤) الجديد المنشود في الخطاب العربي يتحاشى

المبالغة والتشدد؛ ويركز على الأولويات في برامجها؛ ولا يغرق في الماضي بدلاً عن الانشغال في الحاضر؛ ويستشرف الفد ويمدّ العدة له؛ ويبتعد عن استعداء الغرب؛ ويعرض الإشكاليات التي يواجهها ( المرأة / الدين / الديمقراطية / الإرهاب / النهضة ... إلخ ) بشكل مباشر ودقيق وغير ملتبس، دفاعاً عن الذات؛ ثم يضع المفاهيم التي تعبر عن المرحلة التاريخية الراهنة، كالإصلاح والنهضة والثورة .

٥) الخطاب العربي المطلوب، والمرغوب فيه، هو خطاب متفتح على الآخر، مبادر وناقد للذات وللآخر؛ وليس خطاباً دفاعياً أو هجومياً أو ذا وجهين؛ واحد للداخل وآخر للخارج.

### وأهم الآليات لتحقيق هذا المضمون هي:

- ١- العمل على إنشاء مركز بحثي في أمريكا من الأساتذة العرب المقيمين هناك للتأثير في الرأي العام الأمريكي وآليات صنع القرار؛ إضافة إلى الاستفادة من الأصدقاء والمستعربين والكتاب المتعاطفين والمنظمات غير الحكومية والجمعيات الصديقة لفرض توجيه دعمهم وتأيدهم لصالح الخطاب العربي.
- ٢- دعم مركز المعلومات في جامعة الدول العربية بإنشاء موقع متقدم على الإنترنت للتعريف بالقضايا العربية .
- ٣- تعزيز دور منتدى الفكر العربي في تحديث الخطاب العربي والتشبيك مع المراكز المماثلة .
- ٤- إنشاء صندوق لتمويل هذا النشاط من مصادر حكومية وشعبية.
- ٥- تحديد السبل لاشراك المؤسسات الرسمية في هذه المساعي.
- ٦- دعوة العناصر الشابة للاشتراك في المنتدى، وفقاً للمعايير والضوابط الممتدة.

### أما أهم النقاط في إشكالية بناء الإطار المؤسسي وتنسيقه، فكانت:

- ١) إن الساحتين الأمريكية والإسرائيلية هما في الوقت الحاضر، وفي المستقبل المنظور، الأكثر أهمية والأعظم مردوداً للجهود والموارد المطلوب بذلها لإيصال الخطاب العربي وضمان تأثيره.
- ٢) في الساحة الأمريكية بالذات، من الضروري دعم مؤسسات الجالية العربية وبرامجها لتعزيز دورها في الحياة السياسية الأمريكية، مع التركيز على جيل

الشباب وتمويل صلاتهم اللغوية والثقافية بالوطن الأصلي، دون أن ينقص ذلك من ولائهم للوطن الذي هاجروا إليه. وفي هذا الصدد، اقترح بعض المشاركين مشروعات محددة هي باختصار:

١- إنشاء «دارة أفكار» (Think Tank) تضم نخبة من الباحثين والمفكرين والخبراء في الساحة الأمريكية.

٢- تنفيذ برامج لتدريب القيادات الشابة الواعدة.

٣- تنفيذ برامج تلفزيونية إخبارية منتظمة.

٤- تنفيذ برامج تبادل زيارات، لا سيما بين الإعلاميين ورجال الدين والمثقفين المسيحيين.

٢) رفع توصية إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بتميز جهود الجامعة في هذا الشأن، باعتبارها المظلة

المقبولة من الجميع، والاهتمام بصورة خاصة بإنشاء موقع على الإنترنت يعكس التنسيق والتبادل المولماتي بين جميع المؤسسات والأطراف المشاركة في جهود التعبير عن الخطاب العربي وإيصاله إلى أهدافه.

٤) تأسيس وحدة في منتدى الفكر العربي تتولى المتابعة والتنسيق بين مختلف الجهات والمؤسسات التي تعمل على صياغة عناصر الخطاب العربي وإيصاله لأهدافه، مع رصد الموارد الضرورية لهذه الوحدة.

٥) ما تقدم ذكره من مقترحات يمثل الحد الأدنى في هذا المجال لما من شأنه أن يحقق تأثيراً مجدياً على الساحة الدولية. فعلى سبيل المثال: إن إحداث تأثير حاسم في الموقف الأمريكي يتطلب موارد مالية تقدر بما لا يقل عن ١٠٠ مليون دولار سنوياً على مدى عشر سنوات.

إن المنتدى مطالب ببلورة خطابه الخاص، للأمة والعالم، وصياغته بوصفه محصلة لنشاطه الفكري الخصب ولتحليله الأوضاع الجديدة والتحديات الماثلة. وهذا من شأنه أن يوفر الحرية والمرونة لرسم تصور موضوعي شامل للواقع وللمهام الواجب إنجازها. هنا تبرز الحاجة إلى الإفادة من الإنجازات الفكرية للمنتدى التي تحققت منذ تأسيسه وإلى القيام بتوثيقها وتيسير نشرها على نطاق واسع. كما لا بد من الإشادة بالدور الريادي لسمو الأمير الحسن في هذا المقام، وفي قيادة المنتدى بحكمة ودأب وعقل مفتوح وبديمقراطية وإنسانية، رغم الصعوبات الكبيرة التي واجهت المنتدى وتواجهه.

## خاتمة

وختاماً، يُعبر المشاركون في هذا الملتقى الفكري عن ارتياحهم البالغ للجو البناء والصريح الذي خيم على مناقشاتهم، وأتاح لهم تفاعلاً مثمراً للأراء وتبادل وجهات النظر على النحو الإيجابي الذي تجسد في إصدار هذا التقرير وما تضمنه من نتائج وتوصيات. كما يُعبر المشاركون عن تشهم الأكدية بأن تحويل هذه النتائج والتوصيات إلى وقائع حية ملموسة سيكون موضع اهتمام وحرص ومتابعة لا من جانب منتدى الفكر العربي وحسب، بل أيضاً من جانب المفكرين العرب، ومراكز البحوث والمؤسسات الإقليمية والأهلية العربية؛ الأمر الذي يستدعي التفكير بوضع خطة عملية مدروسة بعيدة المدى لتعاون فعال مع جميع الجهات العربية والدولية بما من شأنه أن يُعزز ويطور العمل المشترك وصولاً للغايات المنشودة.

كذلك فيتمتع المشاركون هذه الفرصة ليُعبروا عن هائق تقديرهم واعتزازهم بشخص سمو الأمير الحسن، رئيس المنتدى ورأيه، الذي أتاح لهم هذه المناسبة للالتقاء والتدبر والبحث المشترك في أحوال الأمة وهومها الفكرية في هذه الأوقات الصعبة. كما يُشيدون بحسن ضيافته ورعايته، ويتقدمون بالشكر الوافر إلى الأمانة العامة للمنتدى على كل ما بذلته من جهد عظيم كريم لإنجاح هذا الملتقى.



## المشاركون

- ١٣ - **الدكتور طاهر كتعان**  
أمين عام المجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا  
عمان ، الأردن
- ١٤ - **الدكتور عبد العزيز حجازي**  
رئيس مجلس وزراء مصر السابق  
القاهرة، جمهورية مصر العربية
- ١٥ - **الأستاذ عبدالله كتعان**  
أمين عام اللجنة الملكية لشؤون القدس  
عمان، الأردن
- ١٦ - **الأستاذ عبد الملك الأحمر**  
رئيس مجموعة الحمرا التجارية  
أبو ظبي، دولة الامارات العربية المتحدة
- ١٧ - **الأستاذ عبد اللطيف الحمد**  
رئيس مجلس الإدارة ومدير عام الصندوق العربي للإنماء  
الاقتصادي والاجتماعي  
الكويت
- ١٨ - **الاستاذ عثمان هاشم**  
مستشار مستقل  
الولايات المتحدة الأمريكية
- ١٩ - **الأستاذ عفتان أبو عودة**  
مستشار سياسي لجلالة الملك عبدالله الثاني سابقا  
عمان ، الأردن
- ٢٠ - **الدكتور عدنان السيد حسين**  
أستاذ في كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية  
الجامعة اللبنانية  
بيروت، لبنان
- ٢١ - **الاستاذ عصام الجلبلي**  
مستشار اقتصادي ، وزير الطاقة السابق في العراق  
عمان، الأردن
- ٢٢ - **الدكتور علي عتيقة**  
أمين عام منتدى الفكر العربي  
عمان، الأردن
- ٢٣ - **المهندس عمر هاشم خليفتي**  
رئيس مجلس إدارة شركة زكا  
جدة، المملكة العربية السعودية
- ٢٤ - **الشريف فواز شرف**  
وزير وسفير أردني سابق  
عمان، الأردن
- ١ - **الأستاذ ابراهيم عز الدين**  
مدير عام مؤسسة عبد الحميد شومان  
عقّان، الأردن
- ٢ - **الأستاذ أحمد حمروش**  
كاتب صحفي ورئيس اللجنة المصرية للتضامن  
القاهرة، جمهورية مصر العربية
- ٣ - **الدكتور أحمد صدقي الدجاني**  
مفكر ومجمعي  
القاهرة، جمهورية مصر العربية
- ٤ - **الدكتور أسامة الخالدي**  
مستشار علمي  
عمان، الأردن
- ٥ - **الدكتور إيهاب سرور**  
الرئيس التنفيذي/ الجمعية المصرية البريطانية للأعمال  
القاهرة، جمهورية مصر العربية
- ٦ - **الدكتور جورج قرم**  
وزير المالية السابق  
خبير اقتصادي ومالي  
بيروت، لبنان
- ٧ - **الأستاذ حاتم بن عثمان**  
وزير مستشار لرئيس الجمهورية السابق  
تونس، الجمهورية التونسية
- ٨ - **الدكتور حازم البيلالي**  
مستشار صندوق النقد العربي  
أبو ظبي - دولة الامارات العربية المتحدة
- ٩ - **الدكتور حسن حنفي حسنين**  
أستاذ بقسم الفلسفة  
كلية الآداب - جامعة القاهرة  
القاهرة، جمهورية مصر العربية
- ١٠ - **لأستاذ رشيد محمد المعراج**  
مدير عام الشركة العربية للاستثمارات البترولية  
الدمام، المملكة العربية السعودية
- ١١ - **الدكتور زياد عسلي**  
رئيس اللجنة الأميركية لمكافحة التمييز  
(ADC) واشنطن، الولايات المتحدة الأمريكية
- ١٢ - **الأستاذ سمير حياشنة**  
رئيس مجلس إدارة شركة ملح الصالح  
عمان، الأردن

## ٢٥- الأستاذة ليلى شرف

عضوة في مجلس الأعيان الأردني سابقا  
عمّان، الأردن

## ٢٦- الأستاذ ماجد قطيشات

أمين عام منتدى الشباب العربي  
عمّان، الأردن

## ٢٧- الأستاذ محسن العيني

رئيس وزراء يمني سابق  
القاهرة، جمهورية مصر العربية

## ٢٨- الدكتور محمد حمدان

مستشار الجامعة العربية المفتوحة  
عمّان، الأردن

## ٢٩- الدكتور محمد الفتيش

مستشار اقتصادي  
الولايات المتحدة الأمريكية

## ٣٠- الأستاذ محمد عبد الكافي

كاتب صحفي  
مدريد، إسبانيا

## ٣١- الدكتور محمد عدنان البخيت

مقرر لجنة تاريخ بلاد الشام  
الجامعة الأردنية

عمّان، الأردن

## ٣٢- الدكتور محمد فرج الدغيم

أستاذ اللغة العربية في جامعة قار يونس  
بنغازي، ليبيا

## ٣٣- الأستاذ محمود الشريف

رئيس التحرير المسؤول/ جريدة الدستور  
عمّان، الأردن

## ٣٤- الدكتورة مرفت تلاوي

الأمين التنفيذي/ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا  
بيروت، لبنان

## ٣٥- الأستاذ مطهر السعيد

سفير اليمن في المملكة المتحدة  
السيد منتصر مرعي

«إسلام أون لاين نت»  
عمّان، الأردن

## ٣٧- الدكتور منذر حدادين

ممنشأ سمو الأمير الحسن  
مجلس الحسن

عمّان، الأردن

## ٣٨- الأستاذ ميشيل حمارة

ممنشأ سمو الأمير الحسن  
عمّان، الأردن

## ٣٩- الأستاذ منصور خالد

رئيس مجلس الأمناء مؤسسة السودان للمعلومات والأبحاث  
القاهرة، جمهورية مصر العربية

## ٤٠- الدكتورة منى مكرم عبيد

رئيس مجلس إدارة جمعية النهضة بالتعليم  
جمهورية مصر العربية

## ٤١- الدكتور مهدي الحافظ

رئيس الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية  
بيروت، لبنان

## ٤٢- الأستاذ الهادي البكوش

وزير أول سابق في الجمهورية التونسية  
تونس، الجمهورية التونسية

## ٤٣- السيد هشام جعفر

رئيس تحرير «إسلام أون لاين نت»  
القاهرة

## ٤٤- الدكتور هشام الخطيب

مستشار  
عمّان، الأردن

## ٤٥- الدكتور همام غصيب

مدير إدارة الدراسات والأبحاث  
منتدى الفكر العربي ومجلس الحسن

عمّان، الأردن

## ٤٦- الدكتور يوسف الحسن

مدير عام المعهد الدبلوماسي  
أبوظبي، دولة الإمارات

## مراجعة الذات والحاجة إلى خطاب عربي رصين\*

د. مهدي الحافظ\*\*

٥٠ منقفا عربيا عقدوا خلوة في البتراء (الأردن).

وخلصوا إلى توصيات لتحفيز العمل العربي في السياسة والفكر؛ كما تبينوا فكرة تعدد السياسات والتفافها عند قاسم مشترك. هنا مقال من أحد المشاركين يستطرد إلى أفكار أخرى عن تأثير عربي في السياسة الأمريكية.

الأمم المتحدة العام ٢٠٠١ هذا الشعار. في وقت تعاني فيه شعوب العالم معضلات أخطر وتقاسي غالبيتها من آثار التفاوت الاقتصادي والاجتماعي السائد بين شمال العالم وجنوبه، النابع من ظلم النظام الاقتصادي الدولي وأجحافه ومجاهاته مصالح البلدان الفقيرة. ولم يكن الانجرار وراء هذه الدعوة سوى رد فعل مبشتر وغير محسوب العواقب، أفضى إلى إضعاف الانتباه إلى المشكلات الدولية الملتهبة الكامنة في السياسات المتبعة (ويعبزان القوى) من الدول الصناعية الكبرى. ثم جاءت أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ لتفخذه هذه الدعاوات، مقترنة بافتعال موجات من التشويه والعداء ضد العرب والمسلمين، لا سيما من الأوساط الصهيونية المناوئة أصلاً للقضايا العربية. هذه التساؤلات وغيرها كانت وراء اللقاء الفكري (الخلوة) الذي عقده منتدى الفكر العربي في مدينة البتراء (الأردن) في الفترة ٤-٢ أيار/مايو ٢٠٠٢، وشارك فيه أكثر من خمسين منقفاً من أقطار عربية ومن الجاليات العربية في أمريكا الشمالية وأوروبا. وتركز هدف اللقاء على تطوير مضمون الخطاب العربي وأسلوبه. وفي الواقع، شهد اللقاء نقاشاً مثمراً وجادا وصريحاً حول الكثير من القضايا والإشكالات الماثلة على الصعيد العربي والدولي. ويبحث أيضاً في سبل التأثير في

العالمي ومعضلاته الحقيقية. فليس من المعقول أو المقنع أن تتجرأ أوساط عربية إلى سجال عقيم حول هذه المسألة بسبب مثال لكتاب مغمور أو آراء مفكر آخر أو نتيجة لماراسات معدودة ومنبعثة من عوامل أخرى. والغريب أن الصدى الذي أحدثته مقالات فوكوياما وهنتفون في أوساطنا تبلغ شأواً أعلى بكثير مما تركته من أثر في شعوب الغرب ومفكره. وربما لم يتوقف عندهما إلا أولئك المرتبطون بهدف سياسي معين أو الساعون لاستخدام هذه البدعة ستاراً للترويج لمصالح معينة ومشروعات مريبة للهيمنة على مصائر الشعوب الأخرى ومواردها وثرواتها. فلم يشهد التاريخ صراعاً بين الحضارات على النحو الذي ذكر وأذيع خلال السنوات الأخيرة؛ بل كانت الرابطة بين الحضارات الإنسانية هي غالباً رابطة تقاعل وتسابق نحو الأفضل. وما اندثار بعض المظاهر الحضارية سوى تعبير موضوعي عن الحاجات التاريخية إلى المجتمعات المتجددة دوماً. من هنا كان الفخ الذي وقع البعض فيه، فتوهم نزاهة هذه الدعوة؛ في حين كانت هي في الأساس تحريفاً لطبيعة الصراع في العالم القائم على صراع المصالح وصراع السياسات المعبرة عنها. لهذا يمكن أن نتفهم بعض التساؤلات التي أثارت قبل سنوات في شأن الحكومة من دعوة الرئيس الإيراني محمد خاتمي إلى ما سُمي حوار الحضارات، ثم تكريس

الخطاب العربي - أو أزمة الخطاب العربي - بات اليوم حديثاً مكروراً وربما باهتاً من كثرة ما رافقه من التباسات وأضاليل. وهو أمر يدعو للتذبر الهادئ والمناقشة الصريحة، ليس فقط بهدف السعي إلى صوغ خطاب عربي رصين نابع من حاجات تطورتنا في المرحلة الراهنة وطموحات شعبنا نحو مستقبل أفضل، بل إن الحاجة أيضاً إلى مجازاة روح العصر بمفهومها الإنساني والعادل واللاحق بركب التقدم العلمي المعاصر. ولعل نقطة البداية تتركز على ضرورة التحذير من وجود أو إمكانية خلق خطاب عربي موحد. ومرد ذلك يعود ببساطة إلى مفهوم الخطاب ودلالاته؛ إذ إنه لا يتعدى أن يكون تعبيراً عن مواقف وسياسات إزاء طائفة من القضايا والمعضلات، سواء كانت داخلية أو خارجية. وهو، بهذا التعريف، يصعب أن يكون موحداً، بل إنه من الطبيعي أن يكون متنوعاً، وربما متبايناً في حدود ما، يحكم ارتباطه بمصالح الدول والفئات والأوساط ذات الرؤى والتطلعات غير المتناظرة. وهناك تساؤل مشروع عن جدوى الاندفاع في مشروعات وجهه مضنية لصوغ خطاب عروبي موحد إزاء قضايا مفتعلة لا تخلو من غرض ذفين. ولعل أبرزها وأشدها صخباً ما سُمي «صراع الحضارات» أو «صراع الأديان»، وما اقترن به من استطرادات وبيدع وابتعاد من الواقع

\* عن الحياة الثقافية: ٢٠٠٢/٥/١١.

\*\* كاتب عراقي؛ رئيس الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية؛ عضو مجلس أمناء المنتدى.

الرأي العام الخارجي وإبراز الطبيعة العادلة والمشروعة للقضايا العربية، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية. واللافت كان تبني المشاركين إمكانية تعدد الخطابات العربية بفعل التنوع الفكري والسياسي الذي تزخر به الساحة العربية، على مستوى الحكومات أو المنظمات الأهلية، والتشديد على ضرورة بناء أرضية مشتركة من التاحيتين الفكرية والإعلامية من شأنها أن توفر أوسع فحل مشترك وفق أهداف وغايات مشتركة أزاء التحديات الخارجية. لذلك كان اللقاء حريصاً على صوغ خطاب خاص باسم المنتدى ليعبر عن قناعات المنتسبين إليه ورفيقتهم أزاء القضايا المطروحة. وكان من أهم ما توصل إليه مجموعة التحليلات المتعلقة بمراجعة التجربة العربية خلال العقود الماضية وما أسفرت عنه من نتائج سلبية وإيجابية، والاستناد إليها لبلورة خطاب عربي جاد. ذلك أن تحليل الأسباب والعلل الذاتية لمسيرة التطور في البلدان العربية يجب أن يكون مدخلاً لأي توجه (خطاب) للإصلاح الداخلي وللتعامل مع العالم الخارجي. وهنا جرى التشديد على الموضوعات الأساسية الآتية:

١) يكمن الخلل الأساسي في المسيرة العربية خلال العقود الأخيرة في غياب أو ضعف البناء المؤسسي على صعيد الدولة والمجتمع، ويمرود ذلك إلى غياب الديمقراطية كأسلوب في الحكم وكتقييم وممارسات على صعيد العلاقة بين الدولة والمجتمع وفيما بين المواطنين. وانعكس ذلك في سيادة الرأي الواحد والفكر الشمسولي، وأسهم في زعزعة الوحدة الوطنية وإضعاف النسيج الاجتماعي للدولة. ومن مظاهر ذلك: القصور في الاستجابة للحقوق الأساسية للأقوام والمثل الأخرى في بعض الاقطار العربية، وتضام العجز في مواجهة التحديات الخارجية.

٢) بروز تباين في فهم الاسلام الصحيح، سواء كان ذلك على صعيد المفاهيم أو أساليب العمل، نتيجة لانبعث حركات اسلامية في اوضاع تاريخية مقدمة وذات توجهات سياسية مبنية. وهنا جرى

التشديد على أهمية المنهج الوسطي الاسلامي بصفته منبراً للتلاقح مع القيم والمعايير العالمية التي أنتجت الحضارة الانسانية الشامية، ومنها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان؛ هذا المنهج الذي من شأنه أن يصون صورة الإسلام ويدراً عن المسلمين موجبات التشويه والاستعداد المغرضين اللذين تغنيهما دوائر خارجية. كما يتعين تأكيد كون الحضارة العربية الإسلامية حضارة تعددية وذات تنوع خصب، وتتميز بفضيلة التسامح ورفض التعصب والتطرف.

٣) الحاجة إلى فهم صحيح للعلاقة مع العالم الخارجي، على أساس تقادي العزلة والانغلاق، والانسجام إلى التفاعل مع المتغيرات العالمية بهدف الافادة التامة من فرصها ومجابهة اخطارها بنجاح. ولعل من مستلزمات ذلك بناء القدرة الذاتية العربية وتميز الامكانات التنافسية، بامتلاك ناصية العلم والمعرفة واستيعاب معطيات الثورة التكنولوجية. لا سيما في ميدان المعلومات والتقانات الرقيقة.

٤) التشديد على القيام بإصلاح حقيقي وجذري لأنظمة أو برامج التربية والتعليم، بهدف تلبية الحاجات الانمائية للمجتمع، وتطوير الموارد البشرية، والقضاء على التخلف، والانطلاق في طريق الحداثة ومكافحة الأمية وتميز التفكير العلمي والعقاق بركب التقدم في العالم.

٥) عدم وجود تضامن عربي جاد ضمن إطار مؤسسي راسخ، نظراً لغياب الإرادة السياسية للدول العربية. وهذا لا يمكن توافرها دون إشاعة الديمقراطية وحكم القانون والمشاركة الشعبية الجادة والفاعلة. ومما له أهمية خاصة تحديد برامج عملية مدروسة للتكامل الاقتصادي العربي على أساس المصالح المادية والثقافية وحاجات التنمية المشتركة، بصفتها طريقاً ليمت الحياة في النظام الرسمي العربي كأداة لا غنى عنها لحماية الأمن القومي وخدمة المصالح العربية.

٦) كما تبرز الحاجة على الصعيد القومي إلى تعزيز الروابط بين منظمات المجتمع الأهلي وخلق إطار شعبي متنوع

المراكز والاهتمامات في مناخ ديمقراطي يصون استقلالية هذه المنظمات ويطور مبادئها.

٧) ما بالنسبة إلى هدف كسب الرأي العام الأمريكي، والعالمي بوجه عام، فيتطلب أن نحسن استخدام وسائل الاعلام (الصحف والمجلات والأكثر أهمية التلفزيون)، وتوظيف خبراء عرب ذوي كفاية وخبرة مشهودتين في معركة العلاقات العامة وتسليحهم بمنطق رصين من الوقائع والحجج، فضلاً عن لغة وخطاب مقنعين. كما يتعين التفكير بتأسيس «دائرة فكرية» عربية (Think tank) في أمريكا، تضم أكاديميين عرباً وعرباً أمريكيين لتتولى هذه المهمة، وتكون محوراً لإقامة مجموعة ضغط عربية فاعلة في الولايات المتحدة.

ومن المفيد أن نشير إلى الدور الخطير الذي تلعبه اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة المسماة (إيباك AIPAC) كمحرك لتأسيس الدارة الفكرية المقترحة هنالك، مقال لصحافي البريطاني ريتشارد بيستون في جريدة «التايمز» (Times) البريطانية (٢٤/٤/٢٠٠٢) يفيد أن (إيباك) سعت لدى الكونغرس الأمريكي وحملت في العام ٢٠٠٠ فقط على إصدار مئة قانون لمصلحة إسرائيل، بما فيها التشريع المتعلق بالمعونة المالية الكبيرة المقدمة لها البالغة ثلاثة بلايين دولار.

ويخلص المقال إلى استنتاج لافت ومثير فيقول: «هناك قانون غير مكتوب لكنه محط التزام واسع في الوسط السياسي الأمريكي، مفاده أن مساندة اللوبي اليهودي تشكل عنصراً جوهرياً لأي سيرة سياسية ناجحة. كما أن التعبير عن أي معارضة علنية لإسرائيل من شأنه أن يقود صاحبه إلى انتحار سياسي».

ويضيف أن المؤتمر الأخير لإيباك حضره أكثر من ١٢ مسؤولاً كبيراً من إدارة الرئيس بوش ونصف مجلس الشيوخ وحوالي ثلث الكونغرس. هكذا إذن تبدو أهمية الحامية العربية إلى مواجهة اللوبي المتعاطف للوبي اليهودي في أمريكا. ■

## في الأردن... ملتقى فكري لحوار عربي عربي

الخلوة الفكرية توصي بالديمقراطية وتعتبر الحوار قاعدة أساسية للتعامل مع الآخرين\*

أ. أحمد حمروش\*\*

«رسالة من أمريكا: من أجل ماذا نحارب؟» وهي رسالة تشكل غطاء إيديولوجياً وسياسياً لسياسة الأمريكية الجديدة وتروج لتوجهاتها الحربية باعتبارها تثير الجدل.

والتباين في الرؤية والمواقف داخل المجتمع الأمريكي هو أمر يدفع إلى ضرورة وأهمية متابعة هذا الحوار في منطقة الشرق الأوسط عامة، والأمة العربية خاصة، للوصول إلى اتفاق عربي مشترك لأسلوب التعامل مع هذه الاتجاهات المتباينة التي تموج في المجتمعات الغربية. من هنا جاءت مبادرة منتدى الفكر العربي لعقد هذه الخلوة الفكرية امتداداً لندوات وحلقات نقاشية سبقت أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١؛ ومنها على سبيل المثال ندوة عن «صورة العرب في الغرب» عقدت في أكسفورد خلال شهر حزيران/يونيو ١٩٩٨ دعا إليها الأمير الحسن، بالتعاون مع المعهد الملكي للدراسات الدينية في عمان، ومؤسستين مقرهما أكسفورد، هما: مركز الدراسات اللبنانية ومركز

في محاور ثلاثة: الأول عن (العرب والعالم) لتحديد مضمون الخطاب العربي وأسلوب تطويره وتقديمه، والثاني تحديد الوسائل والقنوات الملائمة للاتصال داخل المجتمعات الغربية في أمريكا وأوروبا وآسيا؛ والثالث عن (بناء الإطار المؤسسي) الذي يجب أن نتعامل به مع الآخرين. وكان من الحوافز التي دفعت إلى عقد هذا اللقاء ما ظهر من تباين فكري، ليس بين العرب وحدهم، وإنما بين الأمريكيين أيضاً، وبينهم وبين الأوروبيين. فقد صدرت أخيراً مناقشة وقعها ١٢٨ من المثقفين الأمريكيين لنظراتهم الأوروبيين للتحرك والتعبير عن معارضتهم للاتجاهات الشوفينية والمنصيرية الكامنة في المواقف الأمريكية الرسمية الجديدة، حرصاً على مستقبل المجتمع الدولي وأمنه ورفاهيته. وجاءت هذه المناقشة رداً غير مباشر على رسالة الستين مثقفاً أمريكياً التي نشرت في «واشنطن بوست» Washington Post في ١٢ شباط/فبراير ٢٠٠٢، تحت عنوان

الأحداث المتلاحقة في منطقة الشرق الأوسط، التي بدأت بالحرب ضد أفغانستان لمطاردة الإرهاب الدولي، والصدمات القاسية التي فجرها أرئيل شارون بإدخال القوات الإسرائيلية المسلحة في حرب عدوانية ضد شعب فلسطين، وانحسار دور الأمم المتحدة وعدم تنفيذ قرارات مجلس الأمن، وتصاعد الدور الأمريكي في الهيمنة على العالم؛ كل هذه القضايا دفعت المفكرين العرب إلى مراجعة أفكارهم وتحديد مواقفهم بعد أن اختلطت الأمور وأصبح الحوار سفينة الإنقاذ من الفرق في بحر الظلمات، لأنه ما من أمة تستطيع مواجهة العالم وهي تماني من الانقسام. ولذلك، بادر منتدى الفكر العربي بإقامة ملتقى فكري بدعوة من رئيسه الأمير الحسن في مدينة البتراء الأثرية المستقرة جنوبي الأردن في وادي موسى.

جاء هذا اللقاء أو الخلوة الفكرية في توقيت صحيح لمراجعة الخطاب العربي من ناحية المضمون والأسلوب

\* عن الشرق الأوسط: ٢٠٠٢/٥/١٤.  
\*\* رئيس اللجنة المصرية للتعامل مع

الشرق الأوسط في كلية سانت أنطوني. دارت الحوارات الصريحة في قاعات الفندق الذي يستقر على سفح أحد الجبال في هذه المدينة الأردنية ذات الطابع الخاص الذي يستدعي للخيال أساطير دينية وتاريخية ومعاصرة. وشارك فيها ٤٦ مفكراً وفدواً من معظم الدول العربية، ومنهم ١٨ من الأردن وعدد من العرب الذين يحملون جنسيات أجنبية ويعيشون خارج الوطن العربي. وكان منهم أربعة من أمريكا، وواحد من بريطانيا، وآخر من إسبانيا. وأظهرت هذه الحوارات أن التطورات التي حدثت في العالم بعد انتهاء الحرب الباردة تفرض رؤية جديدة للعلاقات بين الولايات المتحدة والعالم الخارجي: فينظر إليها البعض أن ما تشنه واشنطن من حرب أو تصدده من تهديدات هو أمر عادل يحقق الديمقراطية والأمن والسلام؛ في حين يرى آخرون أن هذا التوجه الجديد في محاولة السيطرة على العالم هو فرض لهيمنة أحادية مطلقة بأسلوب الحرب واستخدام القوات العسكرية.

وقد نشرت «الايكونوميست» Economist في عدد ٢٣ آذار/مارس الماضي معلومات يمكن أن تكون مصدر إغراء وغواية للإرادة الأمريكية لاتباع

سياسة الانفراد والتحكم في العالم. فهي البلد الوحيد الذي يملك أسلحة نووية وتقليدية على امتداد الكرة الأرضية؛ وهي تتفوق بمقاييس لافتة للنظر في استخدام معطيات ثورة المعلومات في الميدان العسكري؛ كما أن حصتها من الناحية الاقتصادية في الإنتاج العالمي تبلغ نسبتها ٣١٪، وهي تساوي البلدان الأربعة مجتمعة (اليابان وألمانيا وبريطانيا وفرنسا). وهي تسبق العالم بإنتاج الأفلام التلفزيونية والسينمائية وتصديرها، وبكثرة محطات الإعلام.

في إطار هذه المعطيات، اجتمع أعضاء المنتدى وتوصلوا إلى اتفاق على أن الخلل الأساسي في المسيرة العربية خلال العقود الأخيرة يكمن في غياب أو ضعف البناء المؤسسي للدولة والمجتمع، جراء غياب الديمقراطية كأسلوب في الحكم؛ مما أسهم في زعزعة الوحدة الوطنية واضفاف النسيج الاجتماعي الدولي. ومن مظاهر ذلك القصور استجابة البعض لتنظيمات أخرى خارج حدود أوطانهم. كما أكد المشاركون أهمية المنهج الوسطي في الإسلام بعيداً عن التطرف، وأهمية التفاعل مع المتغيرات العالمية، بهدف الإفادة التامة من فرصها ومجابهة أخطارها، والعمل على بناء القدرة

الذاتية العربية، والقضاء على التخلف، والانطلاق في طريق الحداثة ومكافحة الأمية، وتميز التفكير العلمي، مع التأكيد أن فشل التضامن العربي يعود إلى غياب الإرادة السياسية للجمهير العربية نتيجة غياب الديمقراطية.

وتأتي بعد ذلك ضرورة مراجعة خطابنا العربي نحو الآخرين، والوعي بحجم المتغيرات ونوعها التي طرأت على الساحة الدولية. واقترح المشاركون لتحقيق ذلك العمل إنشاء معاهد بحث في أمريكا من المثقفين العرب هناك، مع دعم مركز المعلومات بجامعة الدول العربية، وتعزيز دور منتدى الفكر العربي في تحديث الخطاب العربي.

وهكذا وصل المشاركون في هذه الخطوة الفكرية إلى اعتبار الحوار قاعدة أساسية للتعامل مع الآخرين من دون جمود أو استقزاز، ودون مبالاة أو محاملة. واعتبروا أن الحوار العربي العربي هو الأساس الذي ينهض عليه الحوار مع الآخرين، لتكون للعرب رؤية واحدة في مواجهة الآخرين. ■

## حوار الثقافات: الحوار بدل الصراع؛ لكن بأي معنى؟\*

د. محمد عابد الجابري\*\*

### ١- مفاهيم بدل أخرى

ظهرت في العقد الأخير من القرن الماضي (القرن العشرين) جملة من المفاهيم، تكتسي صبغة شعارية في كثير من الأحيان، غطت أو أبعدت من الساحة الفكرية مفاهيم وشعارات أخرى كان لها حضور قوي، وفي بعض الأحيان هيمنة واضحة في الساحة نفسها، طوال القرن العشرين بأكمله تقريباً. من هذه المفاهيم والشعارات التي اختفت، أو انسحبت من مركز المجال التداولي اليوم، المفاهيم التالية: الإيديولوجيا؛ الصراع الطبقي؛ الوعي الطبقي؛ القومية؛ الإمبريالية العالمية؛ حركة التحرير الشعبية؛ حق الشعوب في تحقيق المصير... إلخ. ومعلوم أن هذه المفاهيم كانت تؤسس أو توجه نظاماً فكرياً معيناً، لا نريد نعتة هنا بهذا التعت أو ذاك، وإنما نكتفي بالقول إنه

النظام الذي ساد القرن العشرين كله تقريباً.

وفي مقابل هذه المفاهيم ظهرت، في العقدين الأخيرين، مفاهيم أخرى متزامنة أو متباعدة؛ مفاهيم تؤسس لنظام فكري مختلف تماماً، لعل أهمها وأكثرها اليوم انتشاراً وشيوعاً المفاهيم التالية: النظام العالمي الجديد؛ نهاية التاريخ؛ صدام الحضارات؛ الهويات؛ السولة وأخيراً وليس آخراً؛ حوار الحضارات أو حوار الثقافات؛

الفكري والجيوسياسي، خصوصاً في العالم العربي، وقد يكفي، دليلاً على هذا الاهتمام الزائد أن نشير إلى أن الأمم المتحدة اعتمدت عام ٢٠٠١ سنة لـ «حوار الحضارات»؛ الشيء الذي أفسح المجال لتنظيم مزيد من الندوات واللقاءات لمناقشة هذا الموضوع في جميع أرجاء الكرة الأرضية تقريباً، تارة تحت العنوان نفسه «حوار الحضارات»، وأخرى باستعمال كلمة «ثقافة» بدل كلمة «حضارة».

وبصرف النظر عن الفرق الذي يمكن أن يقيم بين الكلمتين، وهو فرق يختلف من لغة لأخرى، فإن اللفت للانتباه حقاً هو التركيز، في العالم العربي كما في العالم الإسلامي، على موضوع معين، تحت عنوان «الإسلام وحوار الحضارات»، حتى غدا هذا الموضوع وكأنه وحده المقصود بهذا

### ٢- الإسلام وحوار الحضارات، طرح مصداقية المفهوم

سنحاول في هذا الحديث أن نمارس نوعاً من النظر في هذا المفهوم الأخير «حوار الحضارات» الذي أصبح اليوم من أهم مشاغل الساعة، إن لم يكن أهمها على الإطلاق، على الصعيدين

\* ورقة قدمت لندوة «أفاق الثقافة العربية»؛ ٢١-٢٢ آذار/مارس؛ عمان.

\*\* مفكر عربي من المغرب؛ أستاذ الفلسفة في جامعة الرباط.

«الحوار». والسؤال الذي لم يطرح بعد، مع أنه يطرح نفسه بقوة، هو: لماذا «الإسلام» بالضبط؟ وما المقصود هنا بـ «الإسلام»؟ ولماذا لم نسمع عن ندوة أو ندوات حول «المسيحية وحوار الحضارات»، أو «اليهودية وحوار الحضارات». أو البوذية، أو غير هذه الديانات؟ إن هذا التخصيص الذي يصرف عبارة «حوار الحضارات» إلى دين واحد يعمل على الشك في مدى الموضوعية والتجرد اللذين تطرح بهما هذه المسألة. وإن هدفنا من هذه الكلمة هو الذهاب بهذا «الشك» إلى أقصى مداه: إلى طرح مصداقية مقولة «حوار الحضارات» نفسها.

### ٣- «حوار الحضارات» بديلاً لـ «صراع الحضارات»

لنبدأ بالإشارة إلى أن عبارة «حوار الحضارات» صيغت أول الأمر، وهذا قبل بضع سنوات فقط، لتكون بديلاً عن مقولة ظهرت في أوائل التسعينيات من القرن الماضي، فأثارت نقاشاً واسعاً عريضاً ما زال يتناقل إلى اليوم: أعني بذلك مقولة «صدام - أو صراع - الحضارات». لنتعرف، إذًا، الظروف التي ظهرت فيها هذه المقولة لنرى بعد ذلك إلى أي مدى يمكن فعلاً طرح شعار «حوار الحضارات» بديلاً عنها.

يمكن القول إن الاهتمام الزائد بهذا الموضوع، على الساحة الفكرية عامة، أو على مستوى الدراسات الاستراتيجية والجيوسياسية، إنما انتشر وتفشى ابتداءً من أواخر الثمانينيات، خصوصاً بعد سقوط الاتحاد السوفييتي والكتلة الشرقية التي كانت تابعة له.

إن سقوط الاتحاد السوفييتي لم يكن يعني مجرد سقوط نظام في الحكم معين، ولا مجرد انحلال كتل بين دول، ولا مجرد تقطع معسكر، يتحدد بكونه

يشكل حلفاً بين دول، ضد حلف آخر يتشكل من دول أخرى؛ بل لقد كان سقوط الاتحاد السوفييتي يعني أيضاً، ربما في الدرجة الأولى، سقوط نظام اجتماعي اقتصادي وفكري؛ نظام كان يطرح نفسه مشروعباً ضرورياً للمستقبل؛ مشروعباً حضارياً جديداً، هو ما عبّر عنه به النظام الاشتراكي العالمي. وقد كان يبشر بعلاقات إنتاج جديدة، وبنظام سياسي محلي ودولي جديد، وبإيديولوجيا جديدة؛ بعبارة واحدة: بداية تاريخ جديد للإنسانية.

وبصفته مشروعباً حضارياً للمستقبل جديداً، متعدد الأبعاد، كان لا بد أن يدخل في صراع مع النظام القائم الذي من جوفه خرج: النظام الرأسمالي. فكان الصراع بين النظامين يشمل الاقتصاد والسياسة والقيم والفكر والعلاقات الدولية... إلخ. وبما أن هذا الصراع لم يتطور إلى صدام مسلح على غرار الحربين العالميتين، بسبب الرادع النووي لدى الطرفين، فقد اكتسب صيغة صراع حول المناطق الاستراتيجية ومواطن الثروة؛ وأيضاً: صيغة صراع إيديولوجي استعمل فيه الدين والعلم والثقافة بصورة عامة. وذلك ما عُرف بـ «الحرب الباردة».

إن سقوط أحد طرفي هذا الصراع، أعني المعسكر الشيوعي، كان دون شك «انتصاراً» للطرف الآخر، المعسكر الرأسمالي؛ لكنه «انتصار» من نوع خاص. لم يكن نتيجة مواجهة يتحمل فيها كل طرف نسبة من الخسارة، ولا نتيجة معاناة تحمل كل طرف على التكيف مع مجريات المعركة ونتائجها؛ مما كان لا بد أن ينتج عنه تغيير بهذه الدرجة أو تلك في كيانهما ورؤاهما وأساليب عملهما. كلاهما كان انتصاراً مجانياً، من دون ثمن. كان في الحقيقة إلغاء للمباراة قبل إجرائها،

بسبب انسحاب غير متوقع لإحدى الفرقتين. لقد انهار الاتحاد السوفييتي، ومعهم المعسكر الشيوعي، إثر محاولة القيام بإعادة البناء للنظام من داخله. ففتحت ثغرة سرعان ما تمددت؛ فأصبحت ثغرات متناسلة استعصت على التحكم والمراقبة؛ فكان الانهيار. أما المعسكر الآخر فقد بقي كما هو، بكل عدته العسكرية والاقتصادية والاستراتيجية والعلمية والفكرية. وأيضاً بقي في حالة نمية وتجنيد، لكن من دون عدو. لقد خلت له الأرض وخلا بها، فصار وحده «يعلمن الطمعن والنزلاء». لكن مع من؟

### ٤- أمريكا والبحث عن عدو

تلك هي المشكلة التي واجهتها الولايات المتحدة الأمريكية مع منتصف الثمانينيات: مشكلة دولة، بل معسكر من الدول، بنى اقتصاده وسياسته واستراتيجيته وثقافته ورؤاه المستقبلية على أساس أنه يواجه عدواً يترصد به. فإذا بالعدو ينسحب، بل يخفي، ليظهر وراء خصمه يطلب الانخراط في نمط حياته ليصير جزءاً منه وحليفاً له!

مشكلة ليست سهلة: مشكلة «الأناء» الذي لا يعرف كيف يتعرف نفسه إلا من خلال «آخر» يواجهه؛ فإذا هو يفقد فجأة هذا «الآخر» الذي يتحدد به، فماذا يمكن أن نتظر من هذا الأناء؟ هل نتظر منه أن يفكك ذاته ويميد تركيبه؟ كيف؟ وكيانه جيمه موجه ككل وكأجزاء إلى مضادة كيان «الآخر» ككل وكأجزاء؟ إن بقاء الولايات المتحدة من دون «آخر» خارجي لن يكون إلا على حساب وحدة «الأناء» فيها. ومعلوم أن الولايات المتحدة عبارة عن مجموعات من أصول واثنيات مختلفة، ولغات مختلفة، وثقافات مختلفة، ومصالح مختلفة. فكيف يمكن المحافظة على وحدة الأناء فيها من دون «آخر» من دون



عدو مشترك؟ إنها القضية التي طرحت نفسها على «صانعي القرار» في الولايات المتحدة الأمريكية: أولئك الذين يعملون في ما لا يحصى من مكاتب الدراسات الاستراتيجية. وهي مكاتب أنشئت في ظروف الحرب الباردة، ومهمتها «البحث» عن خصم ومراقبته واقتراح خطط ووسائل لمواجهته. ومن المفيد التذكير هنا أن كلمة «استراتيجية» مصطلح حربي. فالتخصص في الدراسات الاستراتيجية لا يستطيع التفسير إلا في إطار المواجهة بين طرفين. فإذا انسحب أحد الطرفين كان عليه أن يضع مكانه ما يقوم مقامه في الحال أو في المستقبل؛ والا انقطع به حبل التفكير. إن المحلل الاستراتيجي كلاعب الشطرنج: لا يستطيع اللعب وحده. وفي مثل هذه الحال لا يهم إن كان هذا الخصم حقيقياً وذا وزن مثل الاتحاد السوفييتي بالأمس، أو كان دولة صغيرة كالعراق أو إيران، أو شبح دولة كأفغانستان، أو مفهوماً ضبابياً كـ «الإرهاب». أو مفهوماً فضفاضاً يختلط فيه عدة عناصر: الديني والتاريخي والسياسي والجغرافي والاقتصادي والقيم ... الخ. كمفهوم «الإسلام» في الخطاب الغربي؟

لنتعرف الطريقة التي سلكها أحد هؤلاء المختصين في «الدراسات الاستراتيجية» لتحمين «العدو» الذي سيحل محل الاتحاد السوفييتي، وذلك مباشرة بعد سقوط هذا الأخير!

## ٥- عبارة «العالم الثالث»، تفقد معناها

من أوائل المنظرين «الاستراتيجيين» الذي خاضوا في البحث عن «عدو للغرب» بعد سقوط الاتحاد السوفييتي انسيد باري بوزان، الكاتب والصحفي المرموق وأستاذ الدراسات الدولية بجامعة ووريك. فقد نشر مقالة في

مجلة «شؤون دولية» الأمريكية بتاريخ ٢ تموز/يوليو ١٩٩١، بعنوان: «السياسة الواقعية في العالم الجديد: أنماط جديدة للأمن العالمي في القرن الحادي والعشرين»<sup>(١)</sup>، وذلك قبل أن ينشر منتقدون مقالته الشهيرة حول «صدام الحضارات». وبما أن نظرية هذا الأخير ليست في الحقيقة سوى إعادة إنتاج بشكل مفصل وبأسلوب استغراقي عدواني للأفكار نفسها التي عبر عنها باري بوزان بكثير من الهدوء والتركيز في مقالته المشار إليها، فسنتقني هنا بالرجوع إلى هذه الأخيرة باعتبارها «الأصل» الذي يصدق عليه المثل العربي «كل الصيد في جوف الفراء».

يحاول بوزان في مقالته أن يرسم صورة للتطورات المحتملة - المنتظرة أو التي بدأت بالفعل - على الصعيد العالمي بعد انهيار ما كان يُسمى الكتلة الشيوعية. يبدأ بمناقشة التصنيف الدولي الذي كان سائداً قبل انهيار هذه الكتلة، وهو التصنيف الذي بموجبه كان العالم يقسم إلى ثلاثة أقسام: المعسكر الرأسمالي (العالم الأول)، المعسكر الشيوعي (العالم الثاني)، ثم مجموعة من البلدان أطلق عليها (العالم الثالث). وهكذا، يلاحظ أن النتيجة الأولى لسقوط المعسكر الشيوعي هي أن عبارة «العالم الثالث» فقدت معناها بعد أن لم يعد هناك عالم ثانٍ في مقابل العالم الأول. فـ «العالم الثالث» لم يكن عالمًا واحدًا بل كان يتكون من مجموعة من البلدان لم يكن يجمعها كـ «عالم» إلا كونها لا تنتمي: لا إلى العالم الأول ولا إلى الثاني. وبما أن «العالم الثاني» لم يعد له وجود، فإن كاتب المقال يتساءل: ما الذي يبرر بعد هذا ضم البلدان التي كانت تنتمي إلى ما كان يسمى «العالم الثالث»: ضمها وجمعها في مجموعة واحدة؟ ما الذي يجمع بين بلدان مثل كوريا الجنوبية والهند وملاوي

والبحرين حتى يمكن الحديث عنها على أنها عالم متميز؟ وماذا تمنيه كلمة «الغرب» نفسها التي لم يعد مضمونها يتحدد بـ «الأخر»: الكتلة الشيوعية؟ لقد كانت هناك بلدان مثل إسرائيل واليابان تصنف ضمن «الغرب» (العالم الأول) لأنها كانت تتعدد بـ «الأخر» الشيوعي وضمنه الصين فما الذي سيبرر ضم هذه البلدان إلى «الغرب»، وهما في أقصى الشرق، بعد زوال الكتلة الشيوعية؟ ثم ماذا تمنيه كلمة «الشمال» سياسياً واقتصادياً، خصوصاً وهي تشمل، جغرافياً قطاراً مثل ألمانيا ورومانيا وروسيا؟ وما معنى «الجنوب» عندما تعد كوريا من أعضائه وتستبعد أستراليا؟

## ٦- العالم مركز وأطراف، مصدر التهديد،

ما يريده كاتب المقال من وراء هذه التساؤلات هو الوصول إلى النتيجة التالية: أن التصنيف الذي درج العالم عليه منذ الحرب العالمية الثانية فقد معناه بعد انهيار الكتلة الشيوعية؛ وبالتالي لا بد من تصنيف جديد لفهم الوضع العالمي الجديد، والتصنيف الذي يختاره الكاتب وبينني عليه تحليله هو ذلك الذي يقسم العالم كله إلى قسمين: مركز وأطراف. أما المركز فهو «كتلة رئيسية من الاقتصاديات الرأسمالية المسيطرة على العالم»؛ وأما الأطراف فهي «مجموعة من الدول الأضعف من النواحي الصناعية والمالية والسياسية تتحرك ضمن نهم من العلاقات التي ينسجها المركز في المقام الأول». والموضوع المركزي الذي يريد صاحب المقال دراسته من خلال هذا التصنيف هو ما أسماه «أنماطاً جديدة للأمن العالمي في القرن الحادي والعشرين»، وكما يتبين من مجرى تفكيره فهو يعني بـ «الأمن العالمي» أمن

الغرب وحده! أما أمن الطرف الآخر، أعني العالم الثالث، فهو غير ذي موضوع في سياق تفكيره. هو لا ينظر إليه كطرف مهدد في أمنه. المهدد في أمنه هو «الغرب» وحده!

#### كيف؟ ولماذا؟

سؤال لا يطرحه هذا المحلل الاستراتيجي الذي دأب وتعود على نظرة إلى العالم تختزل كل شيء في «التهديد» الذي تشكله الشيوعية على أمريكا. بمباراة أخرى نحن هنا أمام قائد استراتيجي حربي يواجه عدواً يملأ عليه الأفق كله بحيث لا يرى شيئاً آخر غيره. وفجأة انسحب هذا العدو، فساد الفراغ في الأفق وبقي القائد الاستراتيجي المعبأ بالشعور بالتهديد لا يرى في الأفق إلا «التهديد». فراح يبحث عن مصدر «التهديد» القائم/المحتمل! وبما أنه لم يبق في ذهنه إلا «العالم الأول»، وبما أن العالم الثالث لا يشكل عالماً واحداً بل مجموعة دول ضعيفة ومتنافسة وممزقة، فإن الوصف الملائم للوضع الجديدة هو أنها تتألف من «مركز» هو الغرب، و «أطراف» هي «الباقى». وبالتالي فمصدر «التهديد» لا بد أن يكون في أحدهما.

هل يقع مصدر التهديد داخل «الغرب» في المركز نفسه، كما كان الشأن في الحربين العالميتين مثلاً؟ أم أنه يقع خارجه؟

#### ٧- التطورات التي حصنت

##### الغرب من التهديد الداخلي

يستبعد كاتب المقالة أن يكون مصدر التهديد من دخل «المركز» نفسه، لأن تطورات مهمة إيجابية حصلت فيه خلال الحرب الباردة. أهم هذه التطورات أربعة رئيسية:

\* فمن جهة أولى، هناك ظاهرة تعدد الأقطاب داخل المركز الذي أصبح عبارة عن «دول عظمى». وهذا التعدد يقلل من احتمال طلع هذه الدولة

العظمى أو تلك إلى التوسع والهيمنة داخل المركز نفسه، كما كان الشأن قبل الحرب الباردة.

\* ومن جهة ثانية، كان من نتائج سقوط الشيوعية بروز الرأسمالية الليبرالية، بوصفها أكثر أشكال الاقتصاد السماسي فعالية وأكثرها قبولاً. ويترتب على هذا أن المركز أصبح أقل انقساماً من الناحية الإيديولوجية عما كان عليه الحال في أي وقت منذ بدء انتشار التصنيع.

\* ومن جهة ثالثة، ورث المركز من زمن الحرب الباردة تنظيمات أمنية (أحلافاً عسكرية كالحلف الأطلسي) تضم المراكز الرئيسية للقوة الرأسمالية: أمريكا الشمالية وأوروبا واليابان وأستراليا. وما يميز هذه التنظيمات أو الأحلاف هو أنها لا تتوقع استخدام القوة العسكرية في علاقات بعضها مع بعض. وهذا يقوي اقتصادها ويجعلها أقدر على مواجهة التحدي من «الآخرين».

\* وهناك، من جهة رابعة، تعزيز قوة «المجتمع الدولي» وفعالته الذي قوامه مؤسسات دولية تستعين بها دول المركز في تسقيع مساعيها وتحقيق أهدافها، مثل الأمم المتحدة والمجموعة الأوروبية وصندوق النقد الدولي واتفاقية «الغات» ومجموعة السبعة ... الخ. وهي تنظيمات ومؤسسات تقع تحت هيمنة المركز. هذه التطورات التي عرفت فيها المركز تجعل منه كياناً محصناً ذاتياً، لا يأتيه التهديد من داخله، فهل سيأتيه من خارجه: أي من «الأطراف»، وبالتحديد مما كان يسمى «العالم الثالث»؟

للجواب عن هذا السؤال يبدأ صاحب المقالة برصد تأثير تلك التطورات التي حصلت في المركز على بلدان العالم الثالث، لا بوصفها عالماً واحداً، فهي لم تعد كذلك بعد انسحاب «العالم الثاني»: بل بوصفها أطرافاً

متعددة تهم الغرب ويدخل معها في علاقات.

في هذا المجال يُبرز الكاتب معطيات خمسة:

- فمن جهة أولى نتج عن سقوط الشيوعية زوال الحافظ الإيديولوجي والاستراتيجي الذي كان يدفع «المسكرين» إلى التنافس على كسب ولاء بلدان العالم الثالث، كما أن الشعار الذي كان يرفعه هذا العالم كموقف سياسي يميزه عن «الغرب» و «الشرق»، شعار «عدم الانحياز»، فقد هو الآخر مبرره. هكذا أصبحت الأطراف من دون إطار يجمعها مما يفسح المجال لنشوب النزاعات بينها حول التركة التي خلفها الاستعمار، وبكيفية خاصة حول الحدود التي فرضها بين هذه البلدان والتي يصعب الدفاع عن شرعيتها.

- ومن جهة ثانية، وكنتيجة لذلك، سيزداد دور مجلس الأمن أداة للفصل في المنازعات وإضفاء الشرعية على نظام «الأمن الجماعي». وإذا كان من المحتمل أن يترك الغرب النزاعات في الأطراف تجري مجراها إذا تبين له أن تكاليف التدخل ستكون باهظة، فإنه سيتدخل بكل قوته عندما يتعلق الأمر بالشرق الأوسط حفاظاً على تدفق النفط.

- ومن جهة ثالثة، ستظل الأطراف أطرافاً بسبب المواقف الذاتية، وأيضاً بسبب تدخل المؤسسات التي يشرف عليها «المركز»: إضافة إلى ثقل الديونية. ولا يُستبعد، والحالة هذه، «أن يحدث نوع من إعادة الاستعمار المؤسسي على أساس الأمر الواقع».

- أما المعطى الرابع، ويؤليه الكاتب أهمية خاصة، فهو ما يسميه «الأمن الاجتماعي» في مجال علاقة المركز والأطراف. ويقصد «الأخطار ونقاط الضعف التي تؤثر في أنماط هوية

المجتمعات وثقافتها، ويُعد الكاتب الهجرة من الجنوب إلى الشمال وما يسميه «التصادم بين الهويات الحضارية المتنافسة، أهم مسألتين في هذا المجال. أما الهجرة، وبكيفية خاصة من جنوب البحر الأبيض المتوسط إلى شماله، فهي في نظره «تشكل خطراً على أمن دول المركز: إذ تهدد هويتها الحضارية؛ فضلاً عن كونها تخلق طابوراً خامساً داخلها». وأما التصادم بين الهويات والحضارات فهو، في نظره، «أوضح ما يكون بين الغرب والإسلام، نظراً للتمارض بين القيم العلمانية السائدة في الغرب وبين القيم الإسلامية، ونظراً للتنافس التاريخي بين المسيحية والإسلام، ولغيره المسلمين من قوة الغرب: إضافة إلى الحوار الجفرائي». يقول الكاتب: «فإذا اجتمع خطر الهجرة وخطر تصادم الثقافات أصبح من السهل وضع تصور لنوع من الحرب الباردة الاجتماعية بين المركز وجزء من الأطراف على الأقل، لا سيما بين الغرب والإسلام».

- أما المعطى الخامس من جملة المعطيات التي يتحدد بها أمن الغرب بالعلاقة مع الأطراف، فيخص «المجال البيئي». ومع أن هذا المعطى يتعلق بالاقتصاد، أي بكيفية حساب تكاليف التلوث الناتج عن النشاط الصناعي، فإن «الطابع الكلي للبيئة على مستوى الكرة الأرضية سيعطي المركز أسباباً لتدخل في شؤون الأطراف بدعوى الأمن البيئي»، كما يقول الكاتب.

#### 8- مضمون هذا التحليل

لنلخص مضمون هذا التحليل في كلمات:

أ- لقد سقط «الأخر/الشرق» الشيوعي الذي كان يتحدد به «الأنا/الغرب»؛ فمن سيحل محله؟  
ب- العالم الثالث لم يعد طرفاً

ثالثاً، وهو ليس مؤهلاً ليكون «العالم الثاني»؛ إذ هو جملة بلدان ضعيفة متعددة لا توحدتها إيديولوجيا يمكن اعتبارها خصماً للرأسمالية التي انتصرت بكيفية نهائية. هذا فضلاً عن أن هذه البلدان متنازعة ورثت من الاستعمار مشكلات تذكى العداوة بين بعضها بعضاً ... الخ.

ج- ومع ذلك، ففي هذا العالم الثالث الضعيف المتفكك الذي يسوده التنازع مصدراً يهددان أمن الغرب وهويته وحضارته، أولهما الهجرة، والثاني هوياته الحضارية التي تختف عن هوية الغرب.

د- وبما أن الهجرة الأخطر في هذا المجال هي تلك الآتية من جنوب البحر الأبيض المتوسط (وكله إسلام)، وبما أن الهوية المرشحة للتصادم مع هوية الغرب هي الهوية الحضارية الإسلامية لأسباب ترجع إلى الجوار الجغرافي والتنافس التاريخي واختلاف نظام القيم، فإن «الأمن المالي في القرن الحادي والعشرين» سيكون محكوماً بما يطلق عليه صاحبنا «صراع الهويات الحضارية: الصراع الذي يشخصه في ما يسميه «الحرب الباردة الاجتماعية بين الغرب والإسلام».

#### 9- نمط التحليل يقود إلى

«حتمية الصراع بين الغرب والإسلام».

كيف تقوم هذا النمط من التحليل؟ لا شك أن صاحبه ينطلق من معطى تاريخي كبير يحث على التفكير في النتائج التي يمكن أن يسفر عنها مستقبلاً. أعني بذلك تفكك الكتلة الشيوعية التي كانت تشكل أحد الأطراف الثلاثة التي كان ينقسم إليها العالم نحواً من أربعين سنة أو يزيد. ويمكن أن نلاحظ، أن الكاتب يسكت عن الأسباب التي أدت إلى تفكك الطرف المتنازع، مع أن معرفة هذه

الأسباب أمر ضروري إذا نحن أردنا أن نتعقب مختلف النتائج التي يمكن أن يسفر عنها هذا الحدث الذي لم يكن يتوقمه أحد.

فلماذا هذا السكوت؟

إن الجواب الوحيد الذي يمكن استخلاصه من المقال واتجاه التفكير السائد فيه هو أن صاحبه تعامل مع الموضوع لا كباحث معاييد يطلب الحقيقة، سواء كانت له أو عليه، بل تعامل معه كطرف، كـ «غرب» مناصر على «الشرق» المندحر؛ ومعلوم أن أول شئ يشغل به القائد المنصر في حرب من الحروب هو انتصاره، حتى ولو كان انهزام خصمه يرجع إلى عوامل تقع خارج إرادته هو. إن كاتب المقالة، إذًا، تقمص شخصية هذا القائد، بعبارة أخرى، تكلم باسم «الغرب» المصارع لـ «الشرق»، فالخلفية التي توظف تفكير صاحب المقالة هو «التمركز» حول الذات (المركزية الغربية). وقد كان تأثير هذه الخلفية مهيماً على اتجاه تفكيره حينما أراد أن يرصد النتائج التي يمكن أن يسفر عنها انتصار الغرب.

وهذا واضح من اتجاه التحليل الذي قام به. لقد بدأ برصد التطورات التي أدخلها المعسكر الغربي على كيانه استجابة لمقتضيات الحرب الباردة، مقتصرًا على تلك التي لها تأثير على أوضاع العالم الثالث في علاقته مع الغرب. إن هذا يعني أن الخلفية الموجهة لتفكيره في نتائج الحرب الباردة تحكمها فكرة استمرار الصراع.

لكن مَن من؟

إن الجواب الذي يمثل بصفة آلية أمام هذه النمط من التفكير هو أن العالم انثنى انسحب. فالصراع سيكون مع العالم الثالث؛ لكن كيف، والعالم الثالث ضعيف عسكرياً واقتصادياً يسوده التنازع ... إلخ؛ إن تغييب العوامل الإرادية المعقولة المحركة

وهما أبعد ما يكون من أن يدرجا مع كوريا الشمالية الشيوعية كطرف في معادلة!

## ١١- الحرب الحضارية

### الباردة بين الغرب والإسلام

وهكذا، بدلا من أن ينكب الغرب على العمل على تصفية المشكلات التي أوجدها في العالم الثالث أو تسبب فيها من خلال الاستعمار والحرب الباردة، وبالتالي إعادة بناء علاقاته مع خلفائه بالأمس على أسس جديدة، عاد إلى نظراته السابقة، مع هذا الفارق: وهو أن مفهوم «التوحش» الذي كان يوظفه كمقابل لـ «الحضارة» عوضه بمفهوم «اختلاف الهويات الحضارية»، وهو المفهوم الذي وجد الآن صيغته «المناسبة» في «الحرب ضد الإرهاب». فصار الصراع الذي يتصور الغرب أن عليه أن يخوضه لا صراعاً بين «الحضارة» و «التوحش»، بل صراعاً بين حضارته التي يقول عنها إنها تؤمن بقيم التقدم والديمقراطية ... إلخ، وحضارات يتهمها بكونها لا تؤمن بهذه القيم، وفي مقدمة هذه الحضارات «الإسلام» الذي أصبح اليوم يكتسب مضمونه كـ «عدو» مشخص من «تنظيم القاعدة» ونظام طالبان في أفغانستان! وهكذا تصبح «السياسة الواقعية» في العالم الجديد، ويصبح النمط الجديد «للامن العالمي» في القرن الحادي والعشرين، «محكومين بـ «حرب باردة جديدة» لم يتردد السيد بوزان في تسميتها «الحرب الباردة الحضارية بين الغرب والإسلام»، وهي تجتاز الآن مرحلة «سخونة» في أفغانستان.

هنا لا بد من ملاحظة أن الكتاب الغربيين الذين يروجون لمقولة «صراع الحضارات» يضعون كمقابل لـ «الغرب» و «حضارة الغرب» كـ «الحضارة الإسلامية»، بل «الإسلام» أو «الحضارة الإسلامية»، بل «الإسلام» من دون تخصيص! ومن هنا

إلى مرحلة التمدن. فكان الصراع بين الغرب والشرق يومذاك كان بين الحضارة والتوحش! إن هذا يعني أن الغرب لم يكن يعترف بأية حضارة أخرى غير حضارته هو.

أما بعد أن تعرف الغرب عن كتب على بلدان الشرق خلال فترة الاستعمار، فقد اكتشف أنها بلدان لها حضارات وأنه ليس من الممكن وصفها بالتوحش. لكن بما أنه الحاكم المسيطر في الحاضر فقد عدّها حضارات غنى عليها الزمن وتجاوزها التطور، وأن ما كان منها عظيماً في وقته صار جامداً لا يعرف التقدم. غير أن نظرة الغرب سرعان ما تغيرت حينما استعادت شعوب تلك الحضارات استقلالها، بعد كضاح مرير. وصادف ذلك دخول الغرب الرأسمالي في صراع مع المعسكر الشيوعي الذي كان منطلقه في الغرب نفسه. حينئذ عمل الغرب على ربط معظم نظم الحكم في تلك البلدان بمعسكره: فكان معظم أقطار العالم الثالث في خدمة المعسكر الرأسمالي في صراعه مع المعسكر الشيوعي، على الرغم من شعار «عدم الانحياز» الذي بقي مجرد شعار سياسي، في هذا الصراع وظف الغرب لصالحه ما أسماه الخصوصيات الحضارية في أقطار العالم الثالث، عيأها ووظفها لمكافحة الشيوعية. كما فعل في أفغانستان! وحين سقطت الشيوعية بقدرة قادر. تغيرت نظراته إلى العالم الثالث، فأصبح يرى فيه مجال تواجد العدو الذي سيحل محل الشيوعية المنهزمة. وما هو اليوم يحارب «العدو» الموهوم في أفغانستان، وأكثر من ذلك يعين «مثلث الشر» (العراق، إيران، كوريا الشمالية). والغريب في الأمر أن لا شيء يجمع بين هذه الأقطار: فمثلثات الحرب بين العراق وإيران ما زالت قائمة، وإيران جمهورية إسلامية والحكم في العراق قومي بعثي علماني،

للصراع، وعلى رأسها العامل الاقتصادي، دفع بصاحبنا إلى البحث عن «أسباب» للصراع في المعطيات غير الإرادية، غير العقلية، مثل تلك التي ترجع إلى الجغرافيا والتاريخ وخصوصية الهوية! والنتيجة أن الصراع يصبح حتمياً لأنه رهن بعوامل فوق بشرية: عوامل الجغرافيا والتاريخ والهوية!

## ١٠- إعادة ترتيب العلاقة

### الاستعمارية: نشر الحضارة

هذا الانتقال بـ «الصراع» من ميدان العقل، ميدان الاقتصاد والمصالح والسعي نحو الهيمنة ... إلخ، إلى ميدان اللامعقول، ميدان الحتمية الجغرافية وحتمية صراع الهويات، جعل صاحبنا يقفز على وجود العالم الثاني المنهار ويعده مجرد حدث عارض: وبالتالي يعود بعلاقة المركز بالأطراف إلى ما كانت عليه قبل الحرب الباردة حينما كان العالم عالمين: عالم الغرب المستعير، وعالم الشرق المستعمر! من هنا تصبح مهمة التحليل الاستراتيجي إعادة ترتيب العلاقات نفسها التي كانت قائمة بين العالمين زمن الاستعمار.

كيف نقرأ عميلة «إعادة الترتيب، هذه؟

حين اكتسح «الغرب» أقطار الشرق خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في إطار توسعته الاستعمارية، كان الادعاء الذي روج له الكتاب الغربيون في ذلك الوقت لتبرير ظاهرة الاستعمار هو أن الأمر يتعلق بنشر الحضارة! كان العالم منقسماً في نظر أولئك الكتاب - بمن فيهم بعض فلاسفة الأنوار - إلى قسمين: عالم متحضر وعالم متوحش. وكانوا يعتقدون - بصديق أو بغير صديق، لا يهم - أنه من خلال الاستعمار ويفضله ستخرج الشعوب المستعمرة من مرحلة التوحش

الليس والمخالطة في أن معاً. فمقولة «الحرب الباردة الحضارية بين الغرب والإسلام، التي جعل منها صاحينا خاصة للقرن الحادي والعشرين، تضع «الغرب» وهو مصطلح جغرافي ومفهوم ثقافي حضاري، في مقابل «الإسلام» الذي هو دين، وهذا في حد ذاته تصرف عدواني لأنه استفزاز للشعور الديني. فالمسلم في هذه الحالة يشعر أن دينه هو المستهدف، فلماذا يطرحون المسألة بهذه الصورة؟ لماذا «الإسلام» وليس «الحضارة الإسلامية»؟ لماذا يتجنبون وضع «الحضارة الإسلامية» في مقابل «الحضارة الغربية»، فيرتفع اللبس؟

## ١٢ - الحضارة الإسلامية حضارة متفتحة

الواقع أنه لا أحد، لا في الغرب ولا في الشرق، يستطيع أن يدعي أن الحضارة الإسلامية حضارة منغلقة تنحونحو الصراع وترفض الأخذ والعطاء وتغلق باب الحوار. فالحضارة الإسلامية كانت منذ قيامها، وما زالت، ملتقى حضارات وثقافات ونظم قيم، الجميع يعرف أن الحضارة العربية الإسلامية بدأت بدوية صحراوية في الجزيرة العربية. ولما احتكت بالحضارة الفارسية تبنت معظم، إن لم نقل جميع، مظاهرها الحضارية: ليس فقط على مستوى المأكول والملبس والحياة الاجتماعية والعائلية؛ بل أيضاً على مستوى الأدب والفن والتنظيم الاجتماعي ونظام الحكم، إلى درجة أن مؤرخاً ذا نظرة اجتماعية للأمر، كابن خلدون، استخلص من ذلك نتيجة عامة، فقال: إن التقليد في الحياة البشرية ليس دائماً وحيد الاتجاه، فهو لا يكون فقط في صورة تقليد المغلوب للغالب كما هو الشائع؛ بل قد يكون أيضاً في اتجاه عاكس وهو تقليد الغالب للمغلوب. وضرب مثلاً لذلك بالعرب الغاليين الذين تباروا في تقليد الفرس

المغلوبين!

ليس هذا وحسب، بل إن الحضارة العربية الإسلامية فتحت صدرها لمنافسة ثقافية عالمية، ليس فقط بين العرب والفرس، وهي المنافسة التي تطورت إلى ما عرف تاريخياً بحركة الشيوعية، بل لقد شجع جو الحوار الثقافي الحضاري، الذي ساد فيها، المثقفين الذين كانوا ذوي ميول يونانية إلى إبراز مآثر الحضارة اليونانية. فدخلوا في حوار تنافسي مع المثقفين ذوي الميول الفارسية. وهكذا، جرى داخل الحضارة العربية الإسلامية حوار تنافسي بين الثقافتين الفارسية واليونانية؛ الشيء الذي حفّز ذوي الثقافة العربية والإسلامية على الالتحاق بميدان المنافسة فأبرزوا مآثر العرب ومناقب الإسلام مع الاعتراف للحضارات الأخرى بفضلها؛ الشيء الذي كرس النسبية في التفكير الحضاري في الفكر العربي والإسلامي وخفف إلى حد كبير من التمرکز حول الذات في هذا الفكر.

هذا الطابع التمديدي الحوارية الذي تتميز به الحضارة العربية الإسلامية معروف لدى الغرب، يعرفه من خلال دراسته لتاريخه: الغربيون يعرفون أن الحضارة اليونانية انتقلت إليهم عبر الحضارة العربية الإسلامية، وأن معرفتهم بالحضارة الفارسية والهندية تدين بالكثير للعرب والمسلمين.

## ١٣ - الانفتاح على الغرب في العصر الحديث

والغرب يعرف أيضاً أن هذا الانفتاح على الآخر، الذي تتميز به الحضارة العربية الإسلامية، لم يكن مقصوراً على العصور الوسطى؛ بل يعرف جيداً أنه الطابع المميز لها في العصر الحديث أيضاً. لقد انفتح العرب والمسلمون على الغرب وعولموه وحضارته منذ أن بدأ الاتصال بينهما في القرن الثامن عشر.

ومع أن هذا الاتصال اكتسب طابع التوسع والاستعمار من طرف الغرب، فقلد كان هناك دوماً في جميع الأقطار العربية والإسلامية تمييز واضح بين الوجه العدواني الاستعماري للغرب الرأسمالي وبين الوجه الآخر «الأنواري»: وجه العلم والتقدم والعقلانية والحرية والديمقراطية... إلخ. ولم يكن هذا التمييز مقصوراً على فئة من فئات المجتمع العربي الإسلامي، بل كان عاماً عمل به الجميع، بما في ذلك المؤسسات الدينية وخريجوها من دعاة السلفية والأصالة وغيرهم. فجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والطهطاوي وخير الدين التونسي والكواكبي وغيرهم من الذين تمسكوا بالرجعية العربية والإسلامية في دعوتهم النهضة تعاملوا مع الجانب الإنساني والعلمي في الحضارة الغربية بمثل الطريقة التي تعامل بها العلماء والفلاسفة المسلمون في القرون الوسطى مع الحضارة اليونانية: لقد أخذوا العلم والفلسفة، وتركوا ما يخص الدين، معتبرين باختلاف الأديان، رافعين شعار: لكم دينكم ولي ديني.

وما لنا نذهب بعيداً ونفعل وافقنا الآن؟ إن المدارس والجامعات في الأقطار العربية والإسلامية تدرس كمواضع إجبارية، حسب الشعب والتخصصات، جغرافية الأقطار العربية والأوروبية خاصة، وتدرس تاريخها وأدائها وفلسفاتها، وجميع مظاهرها الحضارية، دون أن يكون هناك في الغرب ما يقابل هذا، وإذا وجد شيء من ذلك فهو محصور في أقسام معزولة وهامشية في قطاع الدراسات المتخصصة ذات الطابع الاستراتيجي الذي يستمد توجيهه والتمويل من مؤسسات ووزارات «ما وراء البحار»، وهي المؤسسات التي تخدم التوسع والهيمنة. أما في جل الأقطار العربية والإسلامية فالحضارة

الغربية حاضرة في نظم تعليمها كمواذ إلزامية. ويكفي أن نشير إلى أن طالب البكالوريا عندنا يعرف عن الثقافة الغربية أشياء كثيرة، في حين قد لا يسمح زميله في أوروبا وأمريكا بشيء ينتمي إلى الثقافة العربية الإسلامية غير ما تقدمه وسائل الإعلام التي تهيمن عليها الصهيونية من صور مشوهة عن «العرب و الإسلام». وأكثر من هذا يمكن أنؤكد أن طلبتنا يعرفون أكثر مما يعرفه بعض أبناء الغرب عن بلدانهم وحضارتهم. كنت في الولايات المتحدة فدهشت لكون مجموعة من الطلاب الجامعيين، كنت دخلت معهم في حوار، يجهلون كل شيء عن العالم العربي والإسلامي. قتل في نفسي لا بد أن يجهل هؤلاء أشياء في بلدهم كذلك، فسألت بعضهم: أين يقع الميسيسيبي؟ فنجث بكون كثيرين منهم لا يعرفون هذا النهر الذي يشق بلادهم شقاً، والذي يُمتحن فيه طلبية البكالوريا عندنا.

وبطبيعة الحال ليس هذا هو حال المختصين في الدراسات الاستراتيجية في مكاتب الدراسات الشرقية في الولايات المتحدة وأوروبا. هم يعرفون أن الحضارة العربية الإسلامية حضارة متفتحة ومنفتحة على الحضارات كلها، وفي مقدمتها الحضارة الغربية أمس واليوم. لذلك فهم حين يروجون لقولة «صراع الحضارات»، يتجنبون وضع «الحضارة العربية الإسلامية» في مقابل «الحضارة الغربية»، بل يضمون مكانها «الإسلام» فـ «فماذا يقصدون بـ «الإسلام»» إذا؟

## ١٤ - الإسلام، الشغل الشاغل للغرب؛ والغرب مصالح

«الإسلام» هو الآن، ومنذ عقدين من السنين، الشغل الشاغل للغرب. وما يعنونه ليس «الإسلام» كدين ولا كحكومات تحكم باسمه، فبالأس

القريب فقط كان الغرب يتخذ من «الإسلام» حليفاً له ضد الشيوعية، على مستوى الشعارات والإيديولوجيا كما على مستوى تأييد وحماية حكومات تحكم باسم «الإسلام». وقد ساند الغرب بالمال والسلاح والخبرة حركات «ثورية» ترفع راية «الإسلام»، كما في أفغانستان أيام الحكم الشيوعي. وأكثر من ذلك ساند «الثورة الإيرانية» التي كان زعيمها الإمام الخميني يقودها من باريس على مرأى ومسمع من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية التي فضلت ترك حليفها - حتى لا نقول عمليها الشاه - وحيداً هو وجنده اليائس اليائس أمام جحافل الثورة التي كانت ترفع شعار الإسلام: «الله أكبر». لم يكن الغرب يرى في الإسلام خطراً عليه. لقد كان يعدّه حليفاً له ضد الشيوعية، وإنما كان عدوه هو الطرف أو الأطراف التي لم تكن مجرورة معه في محاربة الشيوعية كـ «القومية العربية» و «حركة عدم الانحياز».

كان ذلك بالأسس القريب: أما اليوم فـ «الإسلام» في نظر الغرب شيء آخر. إنه «العدو رقم ١»، إن لم يكن اليوم ضيقون كذلك غداً. فماذا تفكر؟ ولماذا هذا الخوف «الجديد» بل «المتجدد» من الإسلام؟

إن موقف الغرب من «الإسلام» اليوم شبيه بموقفه من «القومية العربية»، بالأسس: لم تكن بريطانيا العظمى في بداية هذا القرن، كانت تتولى قيادة الغرب آنذاك، تمناع في قيام «وحدة عربية» (حركة الشريف حسين)، وعلى الرغم من الضغوط الصهيونية ووعده بلفور، فقد بقي مشروع «وحدة عربية» يحظى بنوع من القبول لدى ساسة بريطانيا، إلى أن تجسدت الفكرة في «جامعة الدول العربية» التي قامت بمباركتهم. ولكن ما إن أعمت مصر قناة السويس، رافعة شعار «القومية العربية» التي كانت

تنادي آنذاك «بتوّل العرب للعرب»، حتى أصبحت الوحدة العربية في نظر الغرب الخطر الأعظم في الشرق الأوسط؛ الخطر الذي لا يعادله إلا الخطر الشيوعي في أوروبا. وكما اتخذ الغرب من «الإسلام» آنذاك حليفاً له ضد الشيوعية جعل منه كذلك حليفاً له ضد «القومية العربية»، دفع حكومات كل من إيران وباكستان وتركيا والعراق آنذاك إلى الانخراط في حلف بغداد بقيادة بريطانيا.

كيف نفسر هذه الازدواجية في موقف الغرب من الإسلام والعرب؟

إن تاريخ «العرب» - منذ أن أصبح هذا اللفظ مفهوماً سياسياً - استراتيجياً - يكشف عن حقيقة أساسية قوامها: مواقف متغيرة، وثابت لا يتغير. إن موقف الغرب من العرب أو من الإسلام أو من الصين أو من اليابان أو من أية دولة أخرى في العالم موقف يتغير دائماً، وقد يقفز من النقيض إلى النقيض إذا اقتضى الأمر ذلك. أما الثابت الذي يحكم تحركات الغرب وتغير مواقفه فهو «المصالح»، ولا شيء غير المصالح. فحين تمس مصالح الغرب أو يكون هناك ما يهددها تتغير المواقف في الحين.

وهكذا، فما جعل الإنجليز والغرب عموماً يحاربون مشروع «وحدة عربية»، مهما كان شكلها، بعد سنة ١٩٥٦ هو خوفهم من أن يطال التحرير والتأميم الأرض العربية وثرواتها باسم القومية العربية. وما جعل الأمريكان والغرب عموماً ينقلبون على الإسلام الذي كانوا يفازلونه هو قيام بعض الحكومات التي تحكم باسمه، وعلى رأسها المملكة العربية السعودية على عهد الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز، بقطع النفط عن الغرب احتجاجاً على انحيازها إلى جانب إسرائيل في حرب ١٩٧٢ وما تلا ذلك من استعادة الثورة

الإيرانية، التي قامت باسم الإسلام، حق إيران في امتلاك السلطة على بثرواتها، وهو الحق الذي حاول الدكتور مصدق في أوائل الخمسينيات استرجاعه فأطاح به الغرب (بواسطة الشاه)، وبتحالف مع زعيم الاتجاه الإسلامي فيها آنذاك، آية الله الخاشاني.

وشأن الغرب مع العرب والإسلام شأنه مع الصين وغيرها من البلدان. كانت الصين تشكل العدو رقم ١ للغرب يوم كانت سياستها منسجمة مع سياسة الاتحاد السوفييتي. وحين حصلت القطيعة بين بكين وموسكو تغير موقف الغرب منها، فاعترفت بها الولايات المتحدة ضاربة عرض الحائط بصنيعتها التي كانت تحمل اسم «الصين الوطنية» وتحتل مقعداً دائماً في مجلس الأمن؛ المقعد الذي تحول منذ ذلك الوقت إلى الصين الشعبية. وحين انهار الاتحاد السوفييتي عادت الصين لتكون العدو و«الخطر الأسفر».

والسبب هو امتلاكها للقنبلة الذرية وسلوكها سياسة مستقلة ودخولها في مرحلة الإقلاع الاقتصادي الذي قد يجعل منها منافساً حقيقياً لمصالح الغرب الاقتصادية في شرق آسيا. وحين استطاعت الصين أن تكيف من وضعها لتقدم نفسها للغرب كسوق هائلة تغير موقف الغرب منها، وانتقل العداء إلى كوريا الشمالية التي لم تدخل بعد مجال المصالح الغربية!

الغرب مصالح، ولا شيء غير المصالح. وكل حوار معه أو تفكير ضده لا ينطلق من هذه الحقيقة إنما هو انزلاق وسقوط في شباك الخطاب المغالطي التوهمي المائد في الغرب، والهادف إلى صرف الأنظار عن «المصالح»، وتوجيهها إلى الانشغال بما يخفيها ويقوم مقامها في تعبئة الرأي العام مثل «الحضارة» و«الثقافة» و«الدين» و«الأصولية»... إلخ.

## ١٥- أطروحة القيم

### الليبرالية الغربية

نعم، هناك من الكتاب الغربيين من يحاول تجنب طرح «القضية، هذا الطرح اللاعقلاني، ملتصقاً سبيلاً إلى طرح يبدو في ظاهره أكثر تبسيطاً عن الواقع. من ذلك ما ذهب إليه غراهام فولر، وهو باحث في مؤسسة «راند» الأمريكية. في مقالة نشرها في مجلة «السياسة الخارجية» الأمريكية يرد فيها على نظرية منتقنوني «صراع الحضارات» إذ يقول: «إن الصدام الحضاري ليس صداماً حول المسيح أو كوفنوشوس أو النبي محمد بقدر ما هو صراع سببه التوزيع غير العادل للقوة والثورة والنقوذ، والازدراء التاريخي الذي تظهر به الدول والشعوب الكبرى إلى الصغرى». ولا ينكر فولر أن النظام الغربي تقيمه عيوب، لذلك فهو يدعو لإصلاحها، كما يترقب ببعض انتقادات العالم الثالث للسلوك الغربي. ومع ذلك فهو يقرر أن دول العالم الثالث تشكل التحدي الرئيسي للغرب، رغم ما يسود بينها من اختلافات إيديولوجية وعرقية ودينية. والسبب في نظره هو أن الغرب يتبنى قيمةً جوهرية لا يتبناها آخرون في العالم الثالث، بل يعارضونها، وفي مقدمة المعارضين «الإسلام». وهذه القيم الجوهرية ثلاثة: (١) الرأسمالية والسوق الحرة؛ (٢) حقوق الإنسان والديمقراطية الليبرالية العلمانية؛ (٣) الدولة/ الأمة كإطار للعلاقات الدولية.

الإسلام «يرفض» الرأسمالية والسوق الحرة ككيف؟ والسؤال الإسلامي كلها تتبنى النظام الرأسمالي والسوق الحرة: هذا فضلاً عن أن الدين الإسلامي يقر حق الملكية ويشرع للتجارة، للبيع والشراء! الإسلام يرفض القيم الليبرالية، من ديمقراطية وحقوق الإنسان... إلخ. كيف؟ وهو يدعو إلى الشورى ويكرم الإنسان؟ ثم ما المقصود بالإسلام هنا؟

هل هو الدين؟ وفي هذه الحالة هل يستقيم القول إن المسيحية أو اليهودية أو البوذية تعارض أو لا تعارض هذه القيم؟ أما إذا كان المقصود هو الحضارة الإسلامية، فالسؤال نفسه سيظهر بالنسبة للحضارة المسيحية واليهودية والبوذية... إلخ؟

لترك هذه المقارنات التي قد يفهم منها أنها تنطوي على مفاضلات، ولنكتف بالتساؤل: إذا كان الغرب يحدد خصمه بكونه ذلك الذي يرفض أو لا يؤمن بالقيم الليبرالية، من يدمر طبيعة وعلمانية حقوق الإنسان... إلخ. فلماذا يناصر حكومات، إسلامية وغير إسلامية، لا تعمل بهذه القيم بل تقمع في بلدانها كل من يناهز بهذه القيم ويطالب بالعمل بها؟ ثم ألم يكن الغرب وراء كثير من الانقلابات العسكرية ونظم الحكم الديكتاتورية التي عانى منها العالم الثالث زمن الحرب الباردة؟

## ١٦- حوار الحضارات مفهوم

### ملتبس يجب تحديده

«صراع الحضارات»، إذاً، مقولة مزيفة، بل عدوانية، رُوج لها المخطوطون لاستراتيجية الولايات المتحدة لحماية ما يمدونه مصالحها «القومية» في العالم. هذا شيء واضح. فماداً كان رد الفعل الذي حركته هذه المقولة في العالم العربي والإسلامي؟ كان هناك، ولا يزال، نوعان من رد الفعل: هناك من وقع في الفخ، فقال ب «الصراع الحضاري» بين قوى الشر والعدوان وقوى الخير من طلاب الحق والعدل والمساواة. وواضح أن هذا النوع من رد الفعل يستسلم لاستراتيجية الخصم ويتركها ويسقط في ثنائية مائتوية مغلقة لا ترى الحل إلا في انتصار إله الخير على إله الشر. أما تحديد من يمثل «قوى الخير» ومن يمثل «قوى الشر» في هذه الدنيا فيبقى دوماً

مسألة خلافية، لأن كلا من الطرفين يعد نفسه ممثلاً للخير في حين يعدّ خصمه ممثلاً للشر. والنتيجة هي تكريس فكرة حتمية ودوام «الصراع بين الحضارات» وبالنسبة لتزكية استراتيجية «الحرب الباردة ضد الإسلام» وتبريرها.

أما النوع الثاني من رد الفعل الذي أثارته في العالم العربي والإسلامي مقولة «صراع الحضارات»، فيتمثل في رفع شعار «الحوار» بدل «الصراع»، والمناداة بالتالي بـ «حوار الحضارات» أو «حوار الثقافات»؛ والمعنى واحد. ومن دون شك فإن هذا الطرح ينطوي على إحراج لأصحاب مقولة «صراع الحضارات»، لأنهم إن تمسكوا بها قدموا أنفسهم دعاءً للصراع في وجه من ينادي بالحوار! ومع ذلك، ومع أن شعار «الحوار» شعار نبيل ومعقول، فإن موقف الذين يرفضونه مقتصرين على منطوقه، ينطوي على نوع من اللبس والفسلفة. ذلك لأن «الحوار» بين الحضارات أو الثقافات إما أن يكون عفويًا تلقائيًا أو مخططًا له. فإذا كان عفويًا تلقائيًا نتيجة لاحتكاك الطبقي، فيكون عبارة عن تبادل التأثير، عن أخذ وعطاء، بغضل الصيرورة التاريخية؛ وهذا النوع من تلاقي الحضارات أو تداخلها لا يحتاج إلى دعوة، ولا يكون بتخطيط مسبق، بل هو عملية تاريخية تلقائية - إن صح التعبير - عملية يحكمها طلب الأفضل، على غرار ما سبق أن ذكرناه بخصوص الحضارة العربية الإسلامية في الماضي والحاضر.

## ١٧ - تضامن كل طرف مع معائله في الحضارة الأخرى

أما إن كان التصود تنظيم حوار إرادي مخطط له بين أهل هذه الحضارة وتلك، فإن الأمر ليس بالبساطة التي يظهر بها. ذلك لأن

«أهل حضارة ما» ليسوا جميعاً على وفاق فيما بينهم، لا إزاء بعضهم بعضاً ولا إزاء الغير؛ بل هم مجموعات مختلفة يقوم بينها صراع بصورة أو بأخرى. وإذا نحن اقتصرنا هنا على التصنيف الشائع إلى «يمين» و «يسار» أو إلى رأسماليين وكادحين، فإن الذي يحصل هو أن كل صف في أية حضارة يتعاضد مع معائله في الحضارة الأخرى ضد خصومه في الحضارة التي ينتمي إليها. وهذا يصدق أيضاً على التصنيفات الأخرى التي تقوم على الدين أو العرق وما إلى ذلك.

هذه أمور ليست افتراضية، بل هي واقع يفرض نفسه. وقد أبرزه كتاب غريبون ممن ينتقدون نظرية «صدام الحضارات» مخترقين مفهوم «الغرب» نفسه. ففي مقال كتبه باحث أمريكي من جامعة متشغن، يرد فيه على دعاة المواجهة بين الإسلام والغرب، نقرأ ما يلي: «إن على المسلمين خاصة أن يدركوا أن هناك قلة من الغربيين، بمن فيهم كاتب هذا المقال، تذهب مدى بعيداً فيما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين الغرب والمسلمين، باعتبار أن ما نحتاجه اليوم حقاً هو حلف بين المتمسكين بالتقاليد في الغرب وبين المسلمين المحافظين، من أجل مواجهة تحديات الحداثة التي تلح علينا إلحاحاً وتهديداً جميعاً في أيامنا هذه» (أنظر مقالة أنطوني تسي، سليفن في مجلة *الدبلوماسية*، ١٩٩٥/٢/١٥). هل نحتاج إلى القول إن هناك من «الحداثيين» في العالم العربي والإسلامي من هم مستعدون للتخالف مع «الحداثيين» في الغرب ضد ما يمكن أن يعبروا عنه هم أيضاً بـ «تحديات الأصولية التي تلح علينا إلحاحاً وتهديداً جميعاً»؟

## ١٨ - بدلا من صراع الحضارات توازن المصالح

﴿٣٠﴾

«حوار الحضارات» أو «حوار الثقافات» شعار يمكن أن يكون غير بريء، وهو في جميع الأحوال مفعم بالفوضو والالتباس. وفيما يخصني شخصياً أعتقد أنه من الواجب تسمية الأمور بأسمائها الحقيقية. إن جوهر القضية المطروحة بالنسبة لعلاقة الغرب بالغرب والمسلمين هو «المصالح»؛ مصالح الغرب، وفي مقدمتها النفط والموقع الاستراتيجي والسوق العربية إلخ. إنه من الطبيعي جداً أن يشعر الغرب بأن أي تقدم يحققه العرب والمسلمون سيكون على حسابهم، لأن مصالحه في بلاد المغرب والإسلام تقتضي ذلك، وهذا مفهوم. لكن يجب أيضاً أن يكون مفهوماً أن المغرب والمسلمين لا يستطيعون، في الطرف الراهن على الأقل، تحقيق التقدم من دون التعامل مع الغرب. إن النفط في بلاد العرب والإسلام سيبقى شيئاً لا قيمة له إذا لم يشتره الغرب؛ وكذلك الشأن في المواد الأولية الأخرى كاللادن والفوسفات؛ وكذا الفواكه والمضويات ومعظم المصنوعات الموجهة إلى البلدان الغربية. وإذا أضفنا إلى ذلك عائدات السياحة وتحويلات العمال المهاجرين أدركنا مدى التداخل بين مصالح الغرب ومصالح العالم الثالث.

والمسألة الحقيقية القائمة بين الغرب وأقطار العالم الثالث هي عدم التوازن في تبادل المصالح. ذلك أن العلاقة القائمة الآن بين الغرب، من جهة، والعرب والمسلمين والعالم الثالث كله، من جهة أخرى، هي من جنس علاقة السيد بالعبد: السيد يستغل العبد وهو يحتاج إليه، إذ يتوقف عليه في كثير من شؤونها؛ والعبد يمانى من السيد، لكنه هو الآخر محتاج إليه. وبما أن تغيير هذه العلاقة لم يعد ممكناً عن طريق «ثورة العبيد»، نظراً لطابع المرحلة التي تحكمها العولمة والتي تمكن الغرب من وسائل الدعاية والتنمية



فضلاً عن وسائل الدمار التي تجعله لا يتردد في أن يكرر في أي مكان ما فعله في السمراق - وهو يكرره الآن في أفغانستان ويتوعد بتكراره في أماكن أخرى - فإن ما تسمح به الظروف الآن هو العمل على تحقيق نوع من «توازن المصالح» يحد من هيمنة «السيد» وغلوائه، وذلك باللجوء إلى أسلوب في النضال من النوع الذي تمارسه نقابات العمال. وهذا النوع من النضال يتطلب قيام تضامن بين دول العالم الثالث، أو بين مجموعاته الإقليمية، وسلوك أسلوب في «الضغط» من أجل انتزاع الحقوق، شبيه بالذي تمارسه نقابات العمال، والذي يتراوح بين مجرد المطالبة بالحقوق وبين القيام باضرابات. مع الأخذ بلعبة الحوار من نوع الحوار الاجتماعي بين العمال وأرباب العمل؛ وبالتالي العمل بمبدأ «خذ وطالب». وقد برهنت التجربة عن إمكانية نجاح هذا النوع من النضال من خلال أمثلة عدة منها مثلاً أن استحضرها الآن: مثال منظمة الأوبك في تضامنها وإصرارها على الحفاظ على أسعار البترول في الحدود التي تعدها معقولة، ومثال المغرب في تشبته بمبدأ الحوار مع الحفاظ على توازن المصالح في مفاوضاته مع السوق الأوروبية في موضوع الصيد في المياه المغربية.

## ١٩ - والحوار الثقافي أيضاً والمطارات الفكرية أيضاً

هناك جانب آخر في علاقة المغرب والمسلمين بالغرب يجب أن يخضع هو الآخر لمبدأ «توازن المصالح»، وهو

الجانب الذي يمكن أن يُعطي ل عبارة «حوارات الحضارات» مضموناً إيجابياً واضحاً غير ملتبس: إنه الجانب الثقافي. لقد أشرنا قبل قليل إلى ذلك الحضور القوي للغات الغرب وثقافته في مدارسنا وجامعاتنا. فلماذا لا يكون هناك حضور مماثل أو مقارب للفتنة وثقافتنا في مدارس الغرب وجامعاته؟ لماذا لا نطالب بذلك في إطار توازن المصالح في وقت أصبحت فيه اللغة والثقافة عاملاً من الرأسمال في مردودية بالمعنى الاقتصادي؟ إنه إذا حدث هذا أمكن تدشين عهد جديد فعلاً من «حوارات الثقافات»: الحوار الذي سيتعرف من خلاله كل طرف حقيقة الطرف الآخر، بوصفه عنصراً أساسياً في عملية التبادل الثقافي الاقتصادي. والغريب في الأمر عندنا أن كثيراً من متقني الذين لهم اتصال ووصال مع الثقافة الغربية لا يفتأون ينادون عندنا بـ «ضرورة معرفة الآخر»: الغرب! نحن نقول لهم: ها نحن قدمنا في هذه المجالة نوعاً من التعريف بالغرب فحسباً لو اتجهنا جميعاً إلى الغرب بهذا النوع من التحليل لنجعله إحدى المزايا التي يجب أن يرى وجهه فيها. وحسباً لو ألحنا على الغرب أيضاً وطالبناه بضرورة معرفة الطرف الذي يتخذه «الآخر»، أعني العرب والإسلام، كما هو حقيقته الحاضرة والتاريخية بدل الصور المشوهة التي تقدمها له وسائل الإعلام التي توجهها جهات مفرضة. وإلى جانب هذه النوع من الحوار الثقافي الذي يجب أن يجري في إطار تعرّف «الآخر» في المواد الدراسية بمختلف مراحل التعليم وبصورة متوازنة، يجب أن يكون هناك حوار على مستوى أعلى في إطار مطارات فكرية: بين أهل الفكر في الغرب والعالم العربي والإسلامي. إن الدراسات التي أشرنا إليها، ومثيلاتها كثيرة، أعني تلك التي تقدم تحليلات مغلوطة إما بسبب خطأ وجهل أو بقصد ونية مبيتة، يجب أن تنشر في الساحة الفكرية العربية وأن يتصدى لها المفكرون في العالم العربي والإسلامي لمناقشتها ودحضها بأسلوب علمي، لا بالبهكاء والشتيم. ويجب أن تنشر الردود ليس عندنا وعلينا وحسب، بل أيضاً - وهذا هو المهم - في المجلات نفسها وغيرها من وسائل الإعلام في الغرب، وإن اقتضى ذلك دفع مقابل للنشر، فليكن. وأعتقد أن هذه من المهام الأساسية للجامعة المغربية والمنظمات المتفرعة عنها، ومراكز الدراسات الاستراتيجية العربية، وعددها كثير وأعمالها غير معروفة! فحين تنشر مقالة كمكانة بوزان التي حلفاء أعلاه أو مقالة هنتفتون، يجب أن تعتمد مكاتب الدراسات الاستراتيجية والمصالح المختصة في الجامعة العربية ومنظمة مؤتمر العمل الإسلامي إلى تنظيم مباريات للرد عليها ونشرها باللغات الأوروبية، وتخصيص جوائز تشجيعية لها!

حوارات الحضارات وحوارات الثقافات سيبقى مفهوماً ضبابياً ملتبساً إذا لم نربطه باستراتيجية توازن المصالح من جهة؛ ولم نرتع به، من جهة أخرى، إلى المستوى الذي تقدم فيه تحليلات ومطارات مضادة أو موضحة في مستوى ما ينتجه الطرف الآخر. ■

١٩٥٦، رغم تمكن قوى العدوان الثلاثي من احتلال مواقع مؤقتة لها على التراب المصري، الحافز الذي حرك المنطقة العربية ضد الهيمنة الاستعمارية من مراكش إلى البحرين. أما على الساحة الأوروبية ذاتها فإن المشروع الإمبراطوري الألماني، البسمارك ثم هتلر، كاد يؤدي بأوروبا كلها إلى الدمار والانتحار بالحررين المالميتين في القرن العشرين المنصرم؛ إذ أدى صراع القوميات والإمبراطوريات الأوروبية فيما بينها إلى تفتيت القارة، وتخريبها وانهاكها؛ لكنها القارة ذاتها التي تنهض اليوم أمام العالم والتاريخ باعتبارها «أوروبا الموحدة» التي تعلمت الدرس جيداً، وعادت إلى استخدام سلاحها الأمضى الذي قدمته للحضارة الحديثة كله، وهو سلاح العقل، سلاح المنهج العقلي في التعامل مع جميع الظواهر في الواقع البشري، بما في ذلك الظاهرة السياسية وذروتها الليبرالية الديمقراطية التي لا يمكن أن تبلغ كمالها إلا لدى شعوب استوعبت دروس العقل، وأحسن استخدام النهج العقلاني في التعامل مع مشكلاتها السياسية. قامت النهضة الأوروبية أساساً على هذا النهج العقلاني التقدمي، وشاعت النظرة المتفائلة لديها بأن السعادة الإنسانية ممكنة بالاعتماد على العقل. شاع لديها ذلك حتى أواخر القرن التاسع عشر؛ ثم عثرتها موجة تشاؤم ومؤشرات تراجع بعد أن تبين لها أن شمة قوى غريزية وبدائية في الطبيعة البشرية تحت من فعل العقل، وقد تمحله، وكان سبب هذه المراجعة الذاتية لدى الأوروبيين أن العقل فرض ذاته على ما يخص وما لا يخصه؛ فتجأ على عالم الروح العليا، وعالم النفس الدنيا، وطمع إلى عقلنة مثل هذه العوالم ولم يكتف بمجاله المشروع في الطبيعة والمجتمع (العلوم الطبيعية والاجتماعية والتاريخية،

المستميته لم يكتب لها النجاح بسبب انصرافهم في الأغلب إلى السعي لإعادة الأمور والأوضاع في إمبراطورياتهم المترنحة إلى ما كانت عليه أيام القوة والازدهار، وبسبب اخفاقهم في الجوء إلى صيغ جديدة ومختلفة، قادرة على الحياة والاستمرار في زمان غير الزمان الأول، ولأوضاع غير الأوضاع التي انقضت بأمجادها الفاربية، فالمصور الذهبية تمضي إلى غير عودة؛ وإن ما يعود هو الممدن الإنساني لكن في صياغة جديدة، ذلك القدر التاريخي بقانونه الصارم الذي يتحكم بعمليتي الصعود والسقوط بدأ يفعل فعله في الإمبراطوريات الأوروبية منذ مطلع المصور الحديثة، فتراجعت الإمبراطوريات البرتغالية والإسبانية والهولندية، بفقدانها المتواصل للمستعمرات، وبالتآكل البيروقراطي في بنائها الداخلي، حيث الفساد الحكومي والمؤسسي وخراب ضمائر المسؤولين من لصوص المال العام هو الشترطان المدمر لكل الدول والأنظمة، كبيرها وصغيرها، في كل زمان ومكان. ثم بدأت الإمبراطوريات الأقوى والأكبر تتراجع هي الأخرى أيضاً؛ تراجعت الإمبراطورية الفرنسية بهزيمتها المدوية في (ديان بيان فو) في فيتنام؛ تراجعت الإمبراطورية الألمانية بهزيمتها المخاطر في الجزائر، أمام ثورة المليون شهيد المدعومة بالمد التحري العربي من المحيط إلى الخليج. هذا في حين أن الإمبراطورية البريطانية، ذات السياسات الأكثر مكرراً وخبثاً، التي تهاوت بأن الشمس لا تغيب عن ممتلكاتها من كندا غرباً إلى الهند شرقاً، كانت تتعرض للداء التاريخي الويلل ذاته على يد رجل أعزل في السلاح في الهند اسمه المهاتما غاندي؛ وعلى يد رجل شريف آخر مؤمن بشعبه وأمتة جاء من صعيد مصر، اسمه جمال عبد الناصر. فكانت معركة السويس

## أي دروس لعرب التجزئة؟ أوروبا الموحدة، فعل العقل في التاريخ\*

د. محمد جابر الأنصاري\*\*

يتشغل العالم اليوم بدخول الجور أسواق النقد العالمي؛ لكن المسألة ليست مسألة عملة دولية جديدة على أهميتها. فظلت وصلها مسيرة استثنائية. لا سابقة لها في التاريخ؛ فلمرة الأولى في تاريخ صعود الإمبراطوريات والأمم وسقوطها، يأتي شاهد تاريخي جديد يثبت أن قانون الصعود السقوط ليس حتمياً، وأن الإرادة البشرية الموجهة بالعقل المتحضر يمكن أن تصنع صيغة جديدة ومتطورة لإمبراطوريات وقوميات صمدت ثم تراجعت إلى حد السقوط، بل حتى الغياب من التاريخ؛ لكنها استطاعت أن توجد هذه الصيغة المتطورة الأرقى والأشمل لتتقدها، من ذلك المصير التاريخي المشؤوم الذي قضى على إمبراطوريات وقوى قبلها لم تعرف كيف تتفادى قدرها التاريخي. سقطت الإمبراطورية الرومانية، والإمبراطورية الفارسية، كما سقطت من بعدهما الإمبراطورية العباسية، والإمبراطورية العثمانية، والإمبراطورية الصليبية... إلخ. ومع أن هذه الإمبراطوريات لم تخل، قبل مقبها، من مصطلين سابقوا التاريخ، وسابقوا لحظات النهاية، من أجل الإنقاذ؛ إلا أن محاولاتهم

\* هذه مقارنة فكرية وجيزة لظاهرة الاتحاد الأوروبي. وهي تلخيص لفصل من دراسة جديدة للكاتب عن «العرب والعالم في القرن الجديد»، تصدر لاحقاً. وقد تم نشر المادة أعلاه في صحف عربية مؤخرًا.

\*\* مفكر عربي من البحرين؛ عضو المنتدى.

والأسبوية على الطرف الآخر من المعمورة. فهكذا تصنع الأمم الحية أقدارها.

### ونموذج إسلامي في الوحدة

مثل هذه المجزأت العقلانية الحضارية ليست حصراً أو حكرًا على أمة دون أخرى. فقبل فترة وجيزة اجتمع سلاطين الولايات الماليزية المسلمة لاختيار ملك اتحاد ماليزيا الجديد الذي هو، بالمناسبة، سلطان أصغر الولايات الماليزية. لكن منطق العقل المتحد جعله ملك الاتحاد كله خلفاً للملك الراحل. هنا أيضاً عقل مسلم متحضر منفتح على ليبرالية العصر وعقلانيته، استطاع أن يصنع معجزة بعجم ماليزيا الجديدة وما تمثله من أبعاد غير مسبقة. وإذا كانت التجربة الوجدانية الأوروبية الجديدة تثير أشجاناً على امتداد العالم العربي، حيث استطاعت الأنظمة الأوروبية الملكية والجمهورية، المحافظة والثورية، أن تصنع أوروبا موحدة، فإن التجربة الماليزية الجامعة بين تراث السلطنات الإسلامية ومعطيات النظام البرلماني الليبرالي الاتحادية في الفكر السياسي المعاصر تثير أشجاناً مماثلة على صعيد مجلس التعاون الخليجي الذي يتحرك إلى الأمام، لكن ببطء لا يتناسب مع حجم المتغيرات الإقليمية والدولية وتطلعات الشعوب، فلماذا وصلوا ولم تصل؟ لماذا وصلت أوروبا ولم يصل العرب بعد؟ لماذا وصل اتحاد ماليزيا ولم يصل اتحاد الخليج بعد؟ ثمة أوجه شبه وثمة أوجه اختلاف بلا ريب، ولا يمكن نسخ التجارب أو استيرادها بطنبيعية الحال. ولكن جميع التجارب الناجحة في عصرنا تجمعها ميزة جوهرية وأساسية، مفادها أنها حكمت منهج العقل، وتحررت من سطوة الجهل في حياتها، على الأخص في سلوكها السياسي الواقعي الذي لم يعد يخضع لللمطقات ولا للانفعالات، ولا للصفائر ولا لمناهاات الهاجس التأمري، الذي قد ينسج رواية بوليسية مسلية، لكنه لا يصنع تاريخ أمة حية. ■

مجتمعة لكن بصيغة مختلفة متعددة تتخطى منطق السيادة المنفردة ومنطق المصالح الذاتية المطلقة إلى منطق السيادة العليا المشتركة ومنطق المصالح المتبادلة بعناية عن التعصب القومي أو الوطني الضيق. حتى البرتغال وأسبانيا وهولندا وبلجيكا واليونان وجدت في هذه الصيغة المشتركة المنسعة خلاصها وإنقاذها: والا فهو عصر الهيمنة الأمريكية والروسية والصينية واليابانية وعصر السقوط المشترك لأية دولة منفردة، لم يحدث قط في التاريخ أن استطاعت إمبراطوريات متداعية أن تنهض من جديد في مكان أكبر وأكثر عافية وحيوية كالأمم الأوروبية اليوم في ظل «المشروع» الأوروبي الموحد. وبعد اعتماد «اليورو»، يبحث الأوروبيون اليوم في وضع دستور (الولايات الأوروبية المتحدة): في حين يعلن الرئيس الفرنسي جاك شيراك أن العمود الفقري لبرنامجه الرئاسي المقبل سيكون التوحيد السياسي الكامل لأوروبا.

إنها أوروبا الموحدة، ينهض بها العقل كطائر النعناع (الفينيق) من بين الرمال. هذا ما يجب أن يراه العقل العربي بوضوح وجلاء، ولأ يمتنعاً شتاً قوم من أن نعد: فذلك أقرب للتقوى وأنتع لنا. إن اعتبرنا الحكمة ضالة المؤمن بظليها أنى وجدها، وعملية الوحدة الأوروبية سائرة في طريقها المتدرج: لكنها سائرة بلا رجوع. وحين تشكل المصائر في عملة موحدة، وقيلها، برلمان موحد، وتشريعات متماثلة، وسوق اقتصادية واحدة، ومشروع دفاعي متقارب، ودارة حكومية مشتركة. فإن «المعجزة» تكون قد تحققت. ترى من كان بإمكانه تصور أن إمبراطوريات استعمارية متصارعة حتى الرمح الأخير فيما بينها تتحول إلى أعضاء حية من جديد في فيدرالية كبرى، في الولايات الأوروبية المتحدة، بمرافقتها الحضارية، بتقاضتها، بفكرها، بتجاربها، بعمرانها المكتشف؟ لا تستقروا إذا ما أثبتت هذه القوة المتجددة أنها هي النذ الحقيقي لأمريكا، إنها المعجزة الأوروبية بعد المعجزة اليابانية

ومن بينها العلوم السياسية واختباراتها وتطبيقاتها). وقد أدت الحربان الكبريان بين الأمم الأوروبية «الراقية» و«المتعفنة» إلى تعميق الشعور بقصور العقل أمام الغرائز البهيمية وما جلبته من خراب وولس إلى المجتمعات الأوروبية. وظهرت الفلسفات القديمة والوجودية تعبيراً عن هذا المناخ النفسي والذهني. لكن لم يثنه دور العقل رغم ادعاءات مدارس ما بعد الحداثة. فأوروبا لم تتخل عن العقل ولم تنجره ولم تضمه بين التضبان في أفضال النصوص والظنون والتخيلات والتؤمرات الذاتية الاستبدادية. وبفضل نظمها التمدنية الليبرالية الديمقراطية استطاعت أن تتمايل فيهما مختلف الخيارات، وبقيت البدائل الفكرية والسياسية تستأنف أدوارها «بين محافظين ووسط ويساريين»: فلا تسقط الأمة ولا يسقط النظام الديمقراطي بسقوط أحد بدائله بعد أداء دوره وتغير الظروف: بل ينفسح المجال أمام البديل السلمي الآخر لتسلم المسؤولية وحمل الدور في عهد جديد ودورة أخرى. إلى أن يحين موعد التغيير مرة أخرى بإزادة الأغلبية، في انتخابات حرة تجري في ظل النظام والقانون. وفي حدود الضوابط والثوابت الدستورية، لكن بعبوية متجددة للفريق الحكومي الذي لا يسمح له بالبقاء على أنفاس الناس لزمّن طويل. ولا فإن أي نظام يستفد خياراته يحاصر ذاته في واقع الأمر.

في ظل هذا النهج العقلاني فكراً وحياتياً، وفي ظل هذا النظام الليبرالي المنفتح لبدائله السياسية المتمايشة، رأت القوميات والشعوب المتصارعة في أوروبا - بعد انهيار إمبراطورياتها الاستعمارية، واستنفاد كياناتها القومية والوطنية المتعددة لمرحلها التاريخية ولفاعليتها على السرح الدولي - أنها أمام الاضمحلال والتراجع. كما يمكن أن نرى في كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا لو نظرنا إليها منفردة من غير مستقبلها الأوروبي وفضائها البحري الجديد الفسيح، أو الإحياء والتهوض مرة أخرى لونهضت

## جائزة سلطان بن علي العويس الثقافية

فتحت مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية باب الترشيح لنيل جوائز الدورة الثامنة ٢٠٠٢-٢٠٠٣ اعتباراً من ٢٠٠٢/٤/١٥ ولغاية ٢٠٠٣/٣/٢٨؛ علماً بأن مجموع قيمة الجوائز يناهز نصف مليون دولار أمريكي، بواقع مئة ألف دولار

لكل حفل، على النحو الآتي:

\* الحفل الأول: الشعر

\* الحفل الثاني: القصة - الرواية - المسرحية.

\* الحفل الثالث: الدراسات الأدبية والت نقد.

\* الحفل الرابع: الدراسات الإنسانية والمستقبلية.

\* الحفل الخامس: جائزة الإنجاز الثقافي والعلمي، لمن أنجز مشروعه العلمي والثقافي، أو حتى المؤسسات التي قدمت خدمات متميزة وجيلية للمجتمع في مجال تخصصها.

تطلب استمارات الترشيح من:

### جائزة سلطان بن علي العويس الثقافية

ص.ب: ١٤٣٠٠

هاتف: ٢٢٤٣١١١

فاكس: ٢٢١٧٨٣٩

دبي، الإمارات العربية المتحدة

### د. أحمد حمروش

كاتب صحفي، رئيس اللجنة المصرية للتضامن

القاهرة، جمهورية مصر العربية

فاكس: ٧٤٨٨٨٥٩-٢٠٢

### كتاب هذا العدد

#### د. مهدي الحافظ

المستشار الخاص للمدير العام لمنظمة الأمم

المتحدة للتنمية

٧٨-١١

بيروت، لبنان

فاكس: ٨٠٦٧٥٣-٩٦١١١

E-mail: hufedh.unido@dm.net

### د. محمد عابد الجابري

أستاذ الفلسفة في جامعة الرباط

ص.ب: ١ زنقة اومفال بولو

الدار البيضاء ٢٠١٥٠

فاكس: ٣٢٥٠١٠٨٥-٢١٢

### د. محمد الأنصاري

عميد كلية الدراسات العليا

جامعة الخليج العربي

ص.ب: ٣٦٤٥٥

العبدية - دولة البحرين

فاكس: ٧٢٩٠٥٤-٩٧٣

## مستقبل اللاجئين الفلسطينيين وفلسطين الشتات

الناشر: مركز دراسات الشرق الأوسط، الأردن ٢٠٠٢: ٢١-١٠ ص.

هيئة التحرير: حسن عبد القادر، ذياب مخادمة، عبد الفتاح الرشدان، علي الجرباوي، علي محافظة، محمد المجذوب، نظام بركات، هيثم الكيلاني



محتويات الكتاب: مقدمة: إعلان مؤتمر «مستقبل فلسطيني الشتات»: الفصل التمهيدي: المؤشرات الإحصائية العامة للفلسطينيين في العالم: الباب الأول: فلسطينيو الشتات في العالم وفي أدبيات السياسة العربية والفلسطينية: الباب الثاني: فلسطينيو الشتات (المعلومات، التصنيفات، المؤشرات العامة) في أدبيات السياسة الدولية والسياسة الإسرائيلية: الباب الثالث: دراسة عامة في الأوضاع السياسية والقانونية والاقتصادية والاجتماعية لفلسطيني الشتات في الوطن العربي: الباب الرابع: دراسة عامة في الأوضاع السياسية والقانونية والاقتصادية والاجتماعية لفلسطيني الشتات في أوروبا وأمريكا وأفريقيا: الباب الخامس: التحولات في مشروعات التسوية السياسية والقرارات الدولية المتعلقة بحل المشكلة من عام ١٩٤٧-١٩٩١: الباب السادس: فلسطينيو الشتات في عملية السلام في الشرق الأوسط والاتفاقات المتوقعة من عام ١٩٩١-١٩٩٩: الباب السابع: التوجهات والمواقف العربية والدولية والإسرائيلية الراهنة لحل مشكلة فلسطيني الشتات: الباب الثامن: اللاجئين والنازحون والمهجرون في النزاعات الدولية... دراسة قانونية وسياسية مقارنة مع حالة فلسطيني الشتات وأبعادها: الباب التاسع: حق العودة في الشرعية الدولية... القيود والمحددات السياسية والقانونية وتطبيقها على المشكلة: الباب العاشر: حق العودة في الشرعية الدولية... القيود والمحددات السياسية والقانونية وتطبيقها على المشكلة: الباب الحادي عشر: أسس الاستراتيجية العربية وقواعدها لحل مشكلة فلسطيني الشتات: الملاحق.

## القدس من منظور إسرائيلي

المؤلف: عبد الله كنعان

الموقع: مكتبة المدينة، الأردن ٢٠٠٠: ٣٠٢ ص.



جاءت فكرة هذا البحث: بهدف تعرّف على خلفية النظرة الإسرائيلية للقدس وجذورها اليهودية الصهيونية، وانماكاس ذلك على المواقف والسياسات الإسرائيلية تجاه القدس. يقع الكتاب في: مقدمة خصصت لاستبانة مشكلة البحث التي تتلخص بعدد من الأسئلة: الباب الأول: القدس والدولة اليهودية: الباب الثاني: أبعاد صورة القدس لدى التيار السياسي اليهودي الصهيوني: الباب الثالث: صورة القدس والسياسات الإسرائيلية: الباب الرابع: مشروعات الحلول الإسرائيلية: الباب الخامس: إسرائيل ومشروعات الحلول المقترحة: خاتمة: استنتاجات وأفاق مستقبلية.

# نشرة المنتدى قسمة اشتراك

أرجو قبول اشتراكي في: ☐ نشرة «المنتدى» [العربية] لمدة: ☐ سنة واحدة  
☐ سنتين [خصم: ١٠٪] ☐ نشرة Al Muntada [الإنجليزية]  
☐ ثلاث سنوات [خصم: ٢٠٪]

الاسم: .....

العنوان: .....

تجديد اشتراك ☐

اشتراك جديد ☐

قيمة الاشتراك\*:

طريقة الدفع: ☐ نقداً:

تاريخ انتهاء مدتها:

☐ بطاقة فيزا رقم: .....  
(أو ماستر)

☐ حوالة بنكية (صالح القيمة): .....

رقم الحساب: 0118/001769-8/610 (البنك العربي، فرع الشميساني، عمان، الأردن).

التوقيع: .....

التاريخ: .....

تملاً هذه القسيمة وتُرسل مع قيمة الاشتراك إلى العنوان الآتي:

منتدى الفكر العربي؛ ص.ب: (٩٢٥٤١٨)

عمان ١١١٩٠ ؛ الأردن

* قيمة الاشتراك السنتي لكل نشرة	داخل الأردن:	للأفراد: (١٠) عشرة دنانير أردنية
		للمؤسسات: (٢٠) عشرون ديناراً أردنياً
خارج الأردن:	للأفراد: (٢٥) خمسة وعشرون دولاراً أمريكياً	للمؤسسات: (٥٠) خمسون دولاراً أمريكياً

# يصدر قريباً جداً

(٢٠٠٢/١)

١- الكشف السنوي لنشرة المنتدى  
الأعداد (١٨٤-١٩٥) / ٢٠٠١  
إعداد: أمل زاش

*Al Muntada Annual Index*  
Issues (35-38); Vol. 8/2001  
Compiled by: Amal Zash

٢- (2/2002)

*WTO Trading System: Review and Reform*

٣- (3/2002)

٤- «آفاق التعاون العربي بين الإقليمية والعالمية» (٢٠٠٢/٤)

*The Development of Domestic Energy and Linkages with  
the Water Sector in the Arab World*

٥- (5/2002)

# في العدد القادم

من أوراق ندوة  
«آفاق العلاقات العربية الصينية  
في القرن الحادي والعشرين»

- رؤيا في واقع العالم العربي على خلفية الواقع الدولي  
أ. عدنان أبو عودة



تقرير عن هذه الندوة

## ARAB THOUGHT FORUM

P.O. Box: 925418  
Amman 11190 - Jordan  
Tel: (+962-6)-5678707/8  
Fax: (+962-6) 5675325

## منتدى الفكر العربي

ص.ب. ٩٢٥٤١٨  
عمان ١١١٩٠ - الأردن  
تلفون: ٥٦٧٨٧٠٧/٨ - (+٩٦٢-٦)  
ناسوخ (فاكس): ٥٦٧٥٣٢٥ - (+٩٦٢-٦)

E-mail: [atf@nic.net.jo](mailto:atf@nic.net.jo)  
URL: [www.almuntada.org.jo](http://www.almuntada.org.jo)

السعر: دينار أردني واحد